

جمعية المركز العالمي للتنوير

والدراسات والتربية الإسلامية

سلسلة

نحو وعي إسلامي

١



بقلم

الدكتور/ محمد عمارة

عبدی : وقرة عينی احمد

هذا الكتاب الصغير - يا صغيري - هو
أول ما فرغته المطابع في بعد سنوات
التي مضت بالمشقة في

جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية

والحراسات والتربية الإسلامية

سلسلہ علیہ لفظ کشف، جس میں ۱۰۰ و محارری

نحو وعي اسلامي

والجفيدة - فبكره الفجر - يعرج نفسه ولو كرهه
الكره - فبكره الفجر - يعرج نفسه ولو كرهه

فكر التنوير

بين معنى هذا وع...
السنوات...
كوبه الإنسان...
في سنوات

العلمانيين والإسلاميين

اشهد محمد بن عبد الله - يا احمد سعادة فاقه
كل اسياب السخايرة التي انعم الله علي في امره
سنوات .. كل ما اعني هو انه ينصلي لله
بحانه وتعالى ، شاء فيه صالحة او راءه بعزله
بالسلامة والعزلة

الدكتور / محمد عمارة

تكون به قوة عبيد لكل من سرة يا عبي
ويا قضة عزيزة وغالية به قوارى

21994 1/5

بسم الله الرحمن الرحيم (وقل ربى زدنى علماً)

فى شهر مارس ١٩٨٧ م عقد بمقر جامعة الدول العربية المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك شعاره « تربية الإنسان المسلم ». قام على تنظيمه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالتعاون مع الأزهر الشريف ورئاسة فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتدعيم من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ووزارة الاوقاف المصرية وبنك فيصل الإسلامى المصرى وعلى هامش هذا المؤتمر انعقدت ارادة جماعة من العلماء والمفكرين والمهتمين بالعمل الإسلامى من داخل جمهورية مصر العربية وخارجها على إنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وانطلاقاً من الحاجة الى مثل هذا المركز وتمشياً مع الصحوۃ الإسلامية التى يعيشها العالم الإسلامى وتقديراً لدور العلم والإعلام والتكنولوجيا والمعلومات صدر عن المؤتمر المذكور توصية بإنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وتنفيذاً لهذه التوصية تم اشهار المركز كجمعية مركزية سجلت تحت رقم ١٦٨ بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٩ م وفقاً لقانون الجمعيات رقم ٣٢

لسنة ١٩٦٤ . وتم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة (احد عشر عضواً) برئاسة الاستاذ الدكتور/ حسن عباس زكى ، وبدأ نشاطه وفقاً للاهداف المرجوه والوسائل المعينة على تحقيقها والتي تضمنتها مطوية خاصة . ولما كان من أهداف المركز تنظيم الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات فقد تم بعون الله للمركز نشاطاً في هذا المجال وتحقيقاً لأحد اهداف المركز الذى ينص على اعداد مكتبة اسلامية متخصصة ومتجددة وتسجيل المحاضرات والندوات والمؤتمرات التى يعقدها المجلس فى مطبوعات تشر على نطاق واسع .

فإن جمعية المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية يسرها ان تقدم باكورة انتاجها فى مجال نشر الثقافة الإسلامية مستفتحة بما تراه خيراً كثيراً وهو المحاضرة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد عماره وموضوعها .

فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين

وإذا كان الموضوع اليوم فى بؤرة شعور المثقفين ومن محاور اهتماماتهم فإن صاحب الموضوع أحسن فى عرضه بدقة وامانه وموضوعيه وأستاذ القارئ فى أن أقدم انطباعى عن الموضوع وقد شرفت بالحضور والاستفادة . والمحاضر والكاتب الاستاذ الدكتور

محمد عمارة غنى عن التعريف فهو مفكر إسلامي شديد فيما يراه حقاً
مربط صلب مكته الله من ثغرة فوقف منها واهباً لها حياته وقلعه وما
يملك ، قد رأى المركز العالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية
تقديرأ منه لأهمية الموضوع ودسامة ما ورد فى المحاضرة أن تقدمه
للقارئ فى كتاب

محتوى الكتاب

بدأ الباحث بعرض مصطلح « التنوير » فالتنوير لغةً وقت إسفار
الصبح وبزوغ أشعة نور الصباح والرسول ﷺ يقول « نوروا بصلاة
الفجر » والقرآن نور الإسلام ، والرسول نور ، والحكمة نور ، والصلاة
نور ، فالمسلم بهذا المفهوم مستنير وله تنويره الإسلامى الخاص المستمد
من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وألقي الضوء على مفهوم المصطلح فى الفكر الغربى باعتباره
عنواناً على نسق فكرى محدد يسمى « فكر التنوير » ، ومع مرحلة بعينها
تسمى عصر التنوير ، ومع مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ويقابل
هذا فى الفكر الإسلامى كما ذكره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه
« عنوان على نسق فكرى يمثل حركة فلسفية فى القرن الثامن عشر
تعتمد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الأخلاق وتقوم على

فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد .

فالتنويريون اتخذوا لهم أئمة ودعاة وهداة منهم فرنسيس بيكون ، وفولتير ، روسو ، ومونتسكيو ، وجوتة ، وكانت ، وغيرهم ، بينما الاسلاميون يتخذون أئمتهم وهداتهم في الفكر والرأى والأخلاق نبهم محمد ﷺ الذى قال الله عنه « وما ينطق عن الهوى » وقال عنه « وإنك لعلى خلق عظيم » وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بطاعته « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

مشان بين الاتجاهين .. « استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ »

وترجع أهمية الكتاب فى أنه ألقى الضوء على حقيقة فكر الرموز الإسلامية الذين يحسبون ضمن سلة التنويريين أمثال على عبد الرازق .. وطه حسين .. وسلامه موسى والدكتور هيكل ، واحتكم إلى نصوصهم ، وأبان فى غير لبس براءتهم من بعض ما نسب إليهم .. فالطهطاوى مثلاً فى وصفه للحضارة الغربية يميز فيها بين « علوم التمدن المدنى وبين الفلسفات » ويقول : « إنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية » ويصف بلاد الفرنج العظيمة بأنها مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات ،

وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية .. التي تجلب
الأس ونزين العمران .. ! ويستشهد المؤلف بمقولات جاءت في كتاب
الأعمال الكاملة للطهطاوى مثل .. كل رياضة لم تكن بنساسة الشرع
لا تثمر العاقبة الحسنى ولا غيرها ^{بحمد} بالنفوس القاصرة ، الذين حكموا
عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسناً وتقيماً ، وظنوا
أنهم فازوا بالمقصود ، بتعدى الحدود ، فينبغي تعليم النفوس السياسة
بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لا يحظر
جلب المنافع ولا داء المفاسد ، ولا يتافى التجددات المستحسنة التي
يخترعها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة.

وكذلك فعل الباحث في طرح فكر جمال الدين الأفغانى الذى
دعا إلى بناء النهضة الحديثة مع الأصول الشرعية القديمة الموروثة ..
وحذر من البدء من حيث انتهى الأوروبيون .. فاستشهد بأقواله فى
مجالات متعددة ، ورأيه فى موضوعات شتى كقوله فى التقليد واقتباس
النمط الغربى . « لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين
أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء عليها وطلائع لجيوش
الغالبين ، وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ،
ثم يشتون أقدامهم ! » ويتسأل المؤلف مع أى فريق يقف الأفغانى ؟

مع التجديد الإسلامي ؟ أم مع التنوير الغربى العلمانى ؟؟

أما الإمام محمد عبده فقد نفى عنه المؤلف مقولته الشهيرة التى تنسب إليه هى إنه حينما سافر إلى الغرب قال : « رأيت هناك مسلمين ولا إسلام ، ورأيت هنا إسلام ولا مسلمين » وبين بوضوح من أقوال محمد عبده وكتاباتهِ والنصوص الثابتة ما يؤكد أن هذه العبارة مدسوسة عليه فهو الذى قال عن الحضارة الغربية : « إن هذه المدنية هى مدنية الملك والسلطان ، مدنية الختل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو « الجنة » عند قوم ، « والليرة » عند قوم آخرين .. ولا دخل للإنجيل فى شئ من ذلك ! »

ويسوق المؤلف نصوصاً عدة تثبت زيف ما ادعاه العلمانيون من تغيير فى فكر الإمام محمد عبده الذى تحدث عن إسلامية النهضة ، وإسلامية الدولة وال عمران مما ينفى علاقة فكره بمفاهيم التنوير الغربى التى تلغى الدين وتكتفى بالعقل والتجريب .

وبهذا الأسلوب الرقيق والمنهج الرصين استمر المؤلف فى عرض فكر الشيخ على عبد الرازق تحليلاً وإتصافاً للرجل الذى تراجع عن رأى له ورد فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ورفض أن يعاد طبعه مرة أخرى ، وفى هذا الصدد يستمتع القارئ ببعض الأسرار التى توصل

إليها الكاتب بجهد ومتابعة ومشقة بحثاً عن الحقيقة التي هي ضالة المؤمن .

ويتنقل بنا المؤلف إلى فكر طه حسين تحقيقاً وتحليلاً ونقداً .. فكشف الغطاء عن تراجع طه حسين عن بعض افكاره التي وردت في بعض كتبه مثل « مستقبل الثقافة في مصر » و« في الشعر الجاهلي » وكان في هذا منصفاً للدكتور طه حسين حيث يقول المؤلف : « إن طه حسين الذي قال إن السياسة ليست مقوماً من مقومات الدولة ، والذي قال ، لا علاقة للدين بالسياسة .. وإن اللغة ليست مقوماً من مقومات وحدة الدولة هو نفسه بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ م قال : « إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية .. فغير بذلك موقفه وتراجع عنه » وهو الذي قال : عندما اختير عضواً في لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ م .. « إذا وجد نص ديني صريح ، فالحكمة والواجب يقتضيان ألا نعارض النص ، وأن نكون من الحكمة ومن الاحتياط بحيث لا نضر الناس في شعورهم ، ولا في ضمائرهم ، ولا في دينهم .. » وقال أيضاً : « إذا احترمت الدولة الإسلام فلا بد أن تحتزمه جملة وتفصيلاً .. ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتاب وكفراً ببعضه الآخر .

ويتنقل بنا المؤلف الواسع الاطلاع من دوحة إلى دوحة كالطائر

الخفيف ، ويقف متأملاً في ثورة ١٩١٩ م وينفض عنها وعن زعيمها
 سعد زغلول إدعاء العلمانية .. ويعرض في عجالة أفكاره وآراءه من
 نصوص ثابتة أبرزها نقده لكتاب على عبد الرزاق « الإسلام وأصول
 الحكم » نقداً لا دعماً لا يترك فرصة لمن يدعى على الزعيم أنه علماني
 وبالأسلوب الرصين ذاته يتعرض المفكر الدكتور محمد عماره لآراء
 د. محمد حسين هيكل وأفكاره حيث بدأ حياته الأدبية رئيساً لتحرير
 جريدة السياسة ومن هذه القاعدة دافع هيكل عن على عبد الرزاق
 وكتابه المشبوه « الإسلام وأصول الحكم » وكان ذلك عام ١٩٢٥ م .
 حتى إذا بلغ الرجل تمام نضجه السياسي والأدبي والفكري عام
 ١٩٣٠ م . بدأ مشروعه الاسلامي ونشر كتابه « حياة محمد » وفي
 عام ١٩٣٥ م نشر كتابه « في منزل الوحي » وكلها قبسات من نور
 .. وبذلك اعتبر د. محمد حسين هيكل نموذجاً للإنسان حينما يتطور
 فكره ، فينفض عن نفسه غباراً علق بشبابه في أوائل عهده بالكتابة
 شجاعاً غير هباب ولا وجل فالرجوع إلى الحق قيمة أصيلة وفضيلة
 عظيمة . ويعرض المؤلف قبسات من كتاباته المضيئة المعبرة عن هويته
 الإسلامية . وعلى هذا النسق ينتقل بنا المؤلف إلى تاريخنا الحديث
 بالتمهيج ذاته الذي التزم به فيتعرض لفكر سلامه موسى ، وجابر عصفور .

أما تعليقات بعض الحضور على هذه المحاضرة القيمة فقد جاءت
دليلاً على أن الموضوع ذا أهمية خاصة ويشغل بال المثقفين .

إن من يقرأ هذا الكتاب يجد أن الأستاذ الدكتور محمد عماره
منصف في نقده ، عميق في بحثه ، أمين في فكره ، مدافع عن
عقيدته : فجاء كتابه هذا شعاعاً من الضوء المنير ومنهجاً سوياً يهتدى
به الباحثون .. وهو بهذا الفكر يكون قد أضاف إلى المكتبة العربية
الإسلامية كتاب له أهمية خاصة لا بد أن يقرأه المثقفون ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم ، ولتتميز الله الخبيث من الطيب .

والشكر واجب تزجيه لمن يستحقه والدكتور عماره بهذا الجهد
ستحق لشكر ، أما الأجر فما عند الله خير وأبقى . والشكر كذلك مستحقاً
لجمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية ، أن
أتاحت الفرصة لنشر هذا الفكر والإسهام في مسألة التنوير الإسلامي
والله من وراء القصد موفقاً ومعيناً .

مستشار / علي احمد حمدي

* بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اعتدى بهديه وسار على طريقه الى يوم الدين ..
أيها الاخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

في الأسابيع الأخيرة كثر الحديث في وسائل اعلامنا عن قضية التنوير ، بل ورأينا سلسلة من الكتب تصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، لأول مرة في تاريخ دار من دور النشر ، حيث تصدر كل يوم كتاباً بثمان زهيد لا يبلغ ثمن غلاف الكتاب (٢٥ قرشاً) .. وحقيقة نحن سعداء أن تصدر الدولة الكتب بهذا السعر الزهيد .. ولكن القضية التي تحتاج الى مناقشة هي موضوع هذه الحملة وقضية التنوير .. وهذه القضية ليست بنت هذه الأسابيع القليلة ، ولا هذه السلسلة من الكتب فكلنا شهد في سنة ١٩٩٠ في « معرض القاهرة الدولي للكتاب » أن الموضوع الرئيسي للمحاضرات والندوات تم تحت عنوان « مائة عام من التنوير »

* محاضرة القيت في الموسم الثقافي الذي ينظمه « المعهد العالي للفكر الاسلامي »
و « الجمعية العربية للدراسات الإسلامية » بالقاهرة في ٢٤ ذي القعدة عام ١٤١٣ هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣ م . وأدار حوارها د. علي جمعة .

وأذكر أنني شاركت في ندوة في ذلك العام .. حضر فيها مجموعة من دعاة ما يُسمى بالتنوير ، وعلى رأسهم الأساتذة :

أدونيس ، ومحمود أمين العالم . ود. عبد العظيم رمضان ، ود. هدى وصفي ، ود. غالي شكرى .. وكان مفروضاً أن يحضر د. لويس عوض لكنه كان قد مافر إلى باريس للعلاج على نفقة الدولة .

وفي عام ١٩٩٢ احتفلت دار الهلال - كذلك - بمرور مائة عام على ظهور مجلة الهلال .. وتم الإحتفال تحت شعار : « مائة عام من التنوير » .

وفي الأسابيع الأخيرة ، والكتب التي صدرت .. وجدنا الكتب تحمل عنوان : « التنوير » ويتحدث بعضها عن « محنة التنوير » فالذين رفعوا شعار « مائة عام من التنوير » هم الذين قالوا أن مشروع التنوير تحول على يد المد الإسلامي واليقظة الإسلامية إلى « محنة للتنوير » !

والقضية كما يعرضونها هي : أن حركة التجديد والاحياء واليقظة ، بدءاً من جمال الدين الأفغاني ، وقلة رفاقه الطهطاوى ، ثم محمد عبده والكواكبي .. وأيضاً مه حسين ، وغيرهم من المفكرين

تحولت على يد الحركة الإسلامية الى محنة للتنوير الذي أتى به هؤلاء .
وسأبدأ حديثي بأن أشير الى كلمات كتبت منذ أيام بجريدة
« الحياة » - اللندنية بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤١٣ هـ ١٠ مايو
١٩٩٣ ، لم في ٢٢ ذو القعدة - ١٣ مايو حيث كتب أحدهم في
تلخيصه لمشروع طه حسين بأنه : « تحقيق عصر أنوار عربي يكون العقل
فيه سيد الأحكام » وهذه نقطة تحتاج لأن نتأملها لتعلم معنى
ومضمون « التنوير » الذي يتحدثون عنه .. هذا « التنوير » يكون العقل
فيه سيد الأحكام ، فلا ينازعه ولا يخاصمه أي خصم آخر مهما كان
له في صدور الناس وأقصدتهم من إعزاز وإكرام .

وهنا يشيرون الى الدين ، أي أنهم يريدون أن يقولوا بصراحة -
ونحن نحمد لهم هذه الصراحة - أن المقصود بالتنوير - هو الفكر
الذي لا مجال فيه إلا لأحكام العقل ، ولا منافس ولا خصم للعقل ،
مهما كان هذا المنافس له في قلوب الناس وأقصدتهم من اعزاز وإكرام .

ونحن في هذه المحاضرة - ان شاء الله - سوف نميز بين
مضمون هذا التنوير الذي يقصدونه ، ومفهومنا نحن لنفس المصطلح
من تراثنا الاسلامي .. فهذا التنوير الذي قالوا عنه أنه مشروع

د. طه حسين هو نفسه الذى قال عنه الدكتور زكى نجيب محمود بأنه من عشرينيات هذا القرن إلى الخمسينيات أو الستينيات هذه الحقبة تسمى « عصر طه حسين » وكاتب آخر فى نفس جريدة « الحياة » كتب عن حملة الكتب التى تنظمها الهيئة العامة للكتاب تحت عنوان « رموز التنوير فى مواجهة » كتب يقول : « ينظم المثقفون فى مصر حملة إعلامية كبيرة ، بالتعاون مع السلطات الرسمية شعارها « لمواجهة » ، فيصدرون كتيبات تعيد النهضةيين الى دائرة الضوء ، وينظمون مهرجانات فى سائر المحافظات ، يعرفون برموز النهضة ودعائها فى القرن الماضى ومطلع القرن الحالى » - و « رموز التنوير فى مواجهة الظلاميين » الطهطاوى ومحمد عبيد والأفغانى وعلى عبد الرازق وطه حسين فى مواجهة « الحركة الاسلامية السياسية » !

التنوير فى المصطلح الغربى :

النقطة الأولى فى حديثنا حول هذه القضية أننا نريد أن نعلم ، من الفكر الغربى ، مضمون هذا المصطلح الغربى .. خاصة وأن مضمونه الغربى نشأ فى حقبة محددة من حقب تطور الفكر الغربى ، ولذلك عندما يقال « فكر التنوير » يراد به فكر فلاسفة محددين ، نشأوا فى مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر الغربى .. وعندما يقال :

« عصر التنوير » يقصد به القرن الثامن عشر في تسلسل حقبة الفكر الغربي .. وعندما يقال : هذا من فكر التنوير .. يراد به لون محدد من ألوان الفكر في إطار تطور الحضارة الغربية ..

فالتنوير - كمصطلح شائع - أوربي النشأة والمضمون والايحاءات . وهو عنوان على تسق فكري محدد يسمى فكر التنوير ، وعلى مرحلة بعينها تسمى « عصر التنوير » ، وعلى مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ، ومجمع اللغة العربية عندما أراد أن يُعرف مصطلح التنوير قال أنه « عنوان على تسق فكري يمثل حركة فلسفية ، في القرن الثامن عشر تعدد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الاخلاق ، وتقوم على فكرة التقدم والتحرر من السُلطة والتقاليد » .. وعندما يقال هذا الكلام في مجتمع كانت السلطة فيه كهنوتية ودينية ولاهوتية كنسية ، وكانت التقاليد تقاليد كنسية ، وعندما يقال « الاستقلال بالرأى بواسطة العقل » فمعناه الاستقلال عن الدين المسيحي ففى ذلك التاريخ ، اذن فى التعريف المجمعى لهذا المصطلح ، كما ظهر فى القرن الثامن عشر ، أنه : « حركة عقلية للاستقلال بالسلطة والرأى عن الدين والكنيسة واللاهوت فى ذلك التاريخ » .

وأحد دعاة التنوير وتلامذته فى مصر ، وهو د . مراد وهبه يُعرف

التنوير بعبارة أرى أنها من أدق العبارات التي تُعرف هذا التنوير كما عرف
فى الحضارة الغربية فيقول : « التنوير يعنى أنه لا سلطان على العقل
إلا للعقل » إذن ، لا غيب ، ولا وحى ، ولا شريعة ، ولا إله ولا دين
.. فكل هذه السلطات لا يعترف بها هذا المضمون من مضامين التنوير .
وهذه الفلسفة للتنوير .

والدكتور مراد وهبه ، وهو أكثر من كتب عن التنوير عندما
يتحدث عن مقاصد التنوير - كما يشير بها - يقول : « إنها الخروج
من الاسطورة - أى الدين - إلى العقل ؟ ! » . وهو يقصد الدين
الاسلامى بكلمة الاسطورة !! . والذين كتبوا عن التنوير من الغربيين
يقولون إن جذور التنوير تعود إلى القرن السابع عشر ، وبالتحديد إلى
فرنسيس بيكون ، الذى « يرفض تدخل الدين فى المعرفة ، لأن الدين
يحد من كل ألوان المعرفة » .

إذن منذ اللحظة الأولى كان مضمون مصطلح التنوير فى خندق
معاد للفكر الدينى باعتبار أن الدين - عندهم - يحد من ألوان
المعرفة .. وعند فرنسيس بيكون أيضاً أن التنوير « يحل آلهة التنوير محل
الله والدين » وهذه الآلهة - فى رأيه - هى « العقل والعلم والفلسفة »
وفى القرن الثامن عشر عُرف من مفكرى عصر التنوير (فولتير ١٧٣٤

- (١٧٧٨م) ، (رومو ١٧١٢ - ١٧٧٨م) ، (موشكيو ١٦٨٩ - ١٧٦٦م) ، (هيردر) ، (لينج ٧٢٩ - ١٧٨١م) (ميلر ١٧٦٩ - ١٨٠٥م) ، (جوت ١٧٤٩ - ١٨٣٢م) (كات ١٧٢٤ - ١٨٠٤م) ... وعند فولتير نجد أن التنوير « يعنى تمجيد العقل ، بديلاً عن قداسة الدين » و « محاربة الكنيسة » و « انكار الغيب والبعث والجزاء الأخروي » و « النفس ليست الا حياة الجسم » تفنى بفنائها » و « ليس هناك وحى مقدس سوى الطبيعة » .

هذا الفكر التنويرى عندما جاءت الثورة الفرنسيه تمثلت فى « إلهة العقل » ، « الحساء » التى عبدوها من دون الله .. ورمزوا بها للعقل .. والمقوله التى قالوا فيها : إنهم أنزلوا الله من ملكوته مع ازال أسرة البوربون عن العرش « !! » . والذين يتحدثون من أبناء جلدتنا ، من اخواننا العلمانيين عن مصطلح التنوير يقصدون ما أشرت اليه من معانى لمصطلح التنوير هذا فى تشابه الاوربيه .

التنوير فى المصطلح الاسلامى :

إذا كان هذا هو المفهوم الغربى للتنوير ، فعلياً ، قبل أن نتحدث عن فكر الرموز التى يضعونها فى خندق التنوير ، ويقولون إنها تمثل التنوير بهذا المعنى الغربى وقبل أن نكشف زيفهم وتشويههم لرموز فكرنا

وأحيائنا وتجديدنا عندما يضعونهم في المستنقع المادى الذى يسمونه
التنوير .

علينا أن نسأل هل لمصطلح التنوير فى معاجمنا ومصطلحاتنا معان
متميزة عن هذه المعانى الغربية ؟ سندعش إذا علمنا أن قواميسنا العربية
والإسلامية تضع للتنوير معانى لا علاقة لها على الإطلاق بهذه المعانى
الغربية التى أشرنا إليها فالتنوير فى المصطلح العربى يعنى « وقت إسفار
الصبح - ويزوغ أشعة نور الصباح » ... ورسول الله - ﷺ - يقول
« نوروا بصلاة الفجر - رواه الدرامى - ... والقرآن يوصفه فى آياته
بأنه نور » فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا » - التغابن آية ٨
... والاسلام نور » الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور » - البقرة : ٢٥٧ - والرسول - ﷺ - نور » قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين » - المائدة ١٥ - ..
والحكمه نور » فأن الله يحيى القلوب بنور حكمه » - رواه
مالك فى « الموطأ » - « الصلاة نور » الصلاة نور المؤمن » - رواه
مسلم ...

فالؤمن بذلك كله « مستنير » .. وله « تنويره » الاسلامى
الخاص ... ومصطلح التنوير هذا يعود بنا الى قصة العديد من

المصطلحات التي لها مضمون في فكرنا يختلف تماماً عن مضمونها في الفكر الغربي ، كمصطلح « اليسار » ، فهو في الفكر الغربي الذي يعني : الأجراء وأهل الفقر ... بينما اليسار في المصطلح الاسلامي هم أهل الغنى واليسر والثراء ! ... « واليمين » هم أهل الرجعية والجمود ، في الفكر الغربي ، وهم ، في الاسلام ، أهل القوة والتقوى والصلاح الذين يعطون كتبهم يوم القيامة ... إذن القصص تبدأ من تحرير مفهوم المصطلح .

من المؤسف أن دعاة التنوير الغربي حينما يعددون رموز التنوير بالمعنى الذي يقصدون يأخذون العديد من رموز التجديد والاحياء الاسلامي فيضعونهم في « سلتهم » ونحن في هذا الموقع نريد أن ندعوهم الي كلمة سواء ، نريد أن نحتكم الى نصوص هؤلاء المجتدين وهؤلاء العلماء (الطهطاوي والافغانى ومحمد عبيد وسعد زغلول ومحمد حسين هيكل في نفس « السلة » مع على عبد الرازق ، وطه حسين ، وسلامه موسى . فإذا كانوا فعلاً يقولون بهذا اللون الغربي من التنوير « لاسلطان علي العقل الا للعقل » « وأنه لاسلطان للدين » ... اذا كان هؤلاء الرموز يقولون بهذا المفهوم من التنوير ... تلقىهم اليهم ويصبحون من رموزهم ، أما اذا كانوا يريقون ويريدون أن يستلبوا منا

رموزنا ... فتحن نردهم لنصوص هؤلاء الأعلام والرموز لتشهد بيننا
وبينهم ونقول: هل كان هؤلاء يتادون بهذا المعنى من التنوير ؟ أم أنهم
كانوا يستتيرون بالاسلام ، ويجددونه ويريدون أن تنهض أمتنا وفق
مشروع حضارى ينطلق من فكر الاسلام ووجهه ؟؟ ..

ومن الأسف الشديد أن بعض الاسلاميين يتخذون ويسلمون
هذه الرموز للعلمانيين ... ولذلك كان ضروريا أن نحتكم لنصوصهم ،
بأقوال توجهها الى العلمانيين والاسلاميين على السواء ! .

الطهطاوى : (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣ م)

هل كان الطهطاوى ممن يقول بالعقل فقط؟ أم أنه انتقد الحضارة الغربية لأنها ترجع فقط الى براهين العقل، وإلى التواميس الطبيعية وحدهما؟ لقد أنكر الطهطاوى على الحضارة الغربية هذه الوضعية وقال: «إننا لا نعتد بالتحسين والتفقيح العقليين إلا إذا ورد الشرع بالتحسين والتفقيح» وهذا هو القیصل. فإذا كان الطهطاوى قال بالعقل وحده كمصدر للتحسين والتفقيح يكون مع هؤلاء المنورين بهذا المعنى الغربي، أما إذا كان قد اعتمد على كتاب الوحي وكتاب الكون، وأضاف الشرع الى العقل، بل وقال إن التحسين والتفقيح لأقيمة له الا اذا كان بالشرع.. نقول عندئذ إنه أول رائد من رواد التجديد والاحياء بل وأول عين للشرق على الغرب في عصرنا الحديث لم يكن مع هؤلاء المتقربين بل ان نصوصه تشهد ضدهم.. بل ان كتابه «تلخيص الأبريز» الذي نشرته الهيئة في سلسلة كتب التنوير، يشهد ضدهم، حيث يصف الطهطاوى الحضارة الغربية، ممیزاً فيها بين «علوم التمدن المدني» وبين «الفلسفات» ويقول: «أنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة كل الكتب السماوية». ويتحدث عن إلحاد ولا

دينية الحضارة الغربية ، ويتعجب كيف أنها تجمع بين العلوم
المادية وهذه الألوان من « الإلحاد » وبدأ النص الآتي في كتابة بيتين
من الشعر يقول فيهما :

أوجد مثل باريس ديار ... شعوس العظم فيها لا تنفد

وليل الكفر ليس له صباح ... أما هذا ، وحفكم ، عجيب !

ثم يقول : « فهذه المدينة ، كباقي مدن فرنسا وبلاد الأفرج
العضيمة ، مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات ، وإن كانت
من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانيه ... التي تحلب الأس وتزين
العصران !

إن أكثر أهل هذه المدينة اتعا له من دين النصرانيه الأسم فقط ،
حيث لا يسمع دينه ، ولا غيره له عليه ، بل هو من الفرق المحنة
والمقنعة بالعقل ، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل
يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك فهو لا يصدق بشيء مما في كتب أهل
الكتاب ، لخروجه عن الأمور الطبيعية ... إن كتب الفلسفه بأسرها
محشوة بكثير من هذه البدع المخالفة لسائر الكتب السماوية ، وإن
تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع ... والتكاليف

الشرعية والسياسة التي عليها نظام العالم ، مؤسسة علي التكاليف العقلية الصحيحة ، الخالية من الموانع والشبهات ، لأن الشريعة والسياسة مبنيتان علي الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التي يعلم حكمتها المولى سبحانه وليس لنا أن نعتمد علي ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقييحه .

هل هناك فجور أكثر من أن يوضع صاحب هذا النص في مستنقع التشوير بالمعنى الغربي ، الذي يقول : « لاملطان علي العقل إلا العقل » ؟

ولنواصل قراءة ما كتبه الطهطاوي حيث يقول : « والذي يرشد الي تركية النفس هو سياسة الشرع ومرجعها الكتاب العزيز الجامع لأنواع المظنوب من العقول والمنقول ، مع ما اشتمل عليه من بيان السياسات المحتاج اليها في نظام أحوال الخلق ، كشرع الزواجر المفضية الي : حفظ الأديان ، والعقول ، والأنساب ، والأموال ، وشرع ما يدفع الحاجه علي أقرب وجه يحصل به الغرض ، كالبيع والاجارة والزواج وأصول أحكامها ، فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لاشتمل العاقبة الحمنى ، ولا عبرة بالشقوق القاصرة ، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا اليها تحسناً وتقييحاً ، وضنوا أنهم فازوا بالمقصود

بتعدى الحدود ، فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لا يحظر جلب المنافع والاداء المفسد ولا ينافي التجديدات المستحسنة التي يخترعها من منحهم الله تعالى العقل والهمهم الصناعة » (١)

هذا هو نص الطهطاوى الذى يبدأون به سلسلة أعلام التنوير !!

ثم يتحدث الرجل عن الجمع بين علوم الوحي .. وعلوم الكون فيقول « إن مدار ملوك جادة الرشاد والاصابة ، متوط - بعد ولي الأمر - بهذه العصابة « طبقة الأحرر وأهل » التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليه من نشر :

أ - السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المتنيقة .

ب - معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التي لها مدخل في تقدم الوطنية ... وأن هذه العلوم الحكيمية العملية ، التي يظهر الآن أنها أحيية ، هي علوم إسلامية ، نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم تزل كتبها إلى الآن فسي خزان ملوك الاسلام كلذخيرة (٢) .

ومن الافتراءات التي يفترون بها على الطهطاوى دعواهم أنه ترجم

(١) [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٧٩ ، ٣٢ ، ٤٧٧ ، ٢٨٦ ، ٣٨٧ دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة طعة بيروت ١٩٧٣ م
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٥٣٣ ، ٥٣٤

قانون نابليون ، كى يكون هذا القانون شريعة التقاضى والحكم
فى بلادنا !! وهذا الكلام كتبته لوىس عوض عندما كتب
دراسة فى مجلة « المصور » عنوانها « مصر عثمانية من محمد على
الى عبد الناصر » (١)

ولقد قصت بالرد عليه فى كتابى « العلمانية ونهضتنا الحديثة »
وأثبت بهذا النص منصوص الطهطاوى -

نعم لقد اشرف الطهطاوى على ترجمة قانون نابليون (القانون
التجارى وبعض القوانين الأخرى) .. لكن لماذا ترجمها ؟

الطهطاوى يقول : فى مبرراته للترجمة ، أنه قد زادت المخالطات
بيننا وبين الغرب وتكونت المجالس التجارية لتفصل فى المنازعات بين
التجار العرب والشرقيين وبين الأجانب ... فأردنا أن نعرف كيف يحكم
هؤلاء الأجانب فى بلادهم ؟ وبأى قانون ؟ حتى تعلم حلقتهم
القانونية والفكر الذى يحكمون به .. أى أنه لم يترجمها لكى تحكم
بها بلادنا وأنا أقبل إليكم نص كلام الطهطاوى ، والعلمانيين ، وأيضاً
للإسلاميين المقتدوعين فى رموزنا حتى يعطونهم لفحة سهلة لهؤلاء
المشغبين ؟

(١) مجلة المصور : أعداد ٢٣ / ٩ و ٣٠ / ٩ و ١٧ / ١٠ / ١٩٨٣ م

يقول الطهطاوى فى مقدمة ترجمة « مجموع قوانين نابليون »
 وهى المدنية والبلدية ، والمحاكمات ، والمرافعات ، وتحقيق الدعاوى ،
 والمدافعات والحدود والجنائيات (١) لقد صدر الأمر العالى الخديوى
 بتعريبها - (تعريب القوانين) - حتى لا يجهل أهل هذا الوطن أصول
 الممالك الأخرى ، لاسيما أن علاقات الاقتضاء ، ومناسبات الأخذ
 والعطاء ، تدعو الى الإلمام بمثل تلك الأصول الوضعية ، ليكون من
 يتعامل معهم فى تسوية الأمور على بصيرة (٢) ..

ثم يقول فى مقدمة تعريب قانون أحكام التجارة (٣) « وهذا
 القانون التجارى مما تمس الحاجة اليه فى غالب الأحوال والأوقات ،
 حيث اتسعت الآن فى مصرنا دائرة المعاملات بين أهالى الممالك الأوربية
 وكثرت التعلقات ، فصار لا بأس لأرباب التجارة بمعرفة قوانين المعاملة
 الجارية عند الأجانب ، بل صار الاطلاع عليها لمن يعقد عقود
 التجارات معهم من الواجب » (٤) .

(١) طبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هـ . سنة ١٨٦٦ م .

(٢) (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٣٦٧

(٣) طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ سنة ١٨٦٨ م .

(٤) (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٣٦٩ .

وبعد سنوات ، وعندما ازداد نفوذ الأجانب في مصر ، وسلمت الحكومة المصرية بأن قوانين نابليون التجارية يجب أن يقضي بها في المجالس التجارية المختلطة (الكومسيون المختلط) .. ماذا كان موقف الطهطاوى من هذا الاختراق ؟ لقد وقف ضده وتكلم عن الشريعة الإسلامية معلناً كيف أنها وافية بالغرض - وما يطالب به نحن الآن من ضرورة تقنين الشريعة الإسلامية - نجد الطهطاوى كتبه بنفس التعبير - « التقنين » - ودعا اليه ، فقال : أن مخالطات تجار الغرب ومعاملتهم مع أهل الشرق تعشت نوعاً همهم هؤلاء المشاركة ، وجددت فيهم وزرع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع انتظام ، حيث قربت الآن في المدن الإسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوى والمرافعات بين الأهالي والأجانب ، بقوانين في الغالب أوربية ، مع أن المعاملات الفقهية لو انتظمت ، وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق ، بتوفيقها على الوقت والحالة ، مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولاء الأمور المستيقظين .. ولكل مجتهد نصيب ! .. ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية ، حيث يربوا للمعاملات الشرعية أبواباً متنوعة للأحكام التجارية ، كالشركة والمضاربة ، والقرض ، والغايرة ، والعارية

والصلح وغير ذلك »

ثم يضيف « أن بحر الشريعة الغراء ، على نفعه منارعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحياها بالسقى والرى ، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ... لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع .. » (١)

هذا هو الطهطاوى ، الذى دعا الى أن تكون المرجعية ليست للعقل فقط وإنما للشرع أيضاً .. والذى تكلم عن أن بحر الشريعة الغراء واف بكل المتطلبات ودعا الى توفيقها على الوقت والحال - الذى تكلم نحن عنه الآن باسم « التقنين » والاجتهاد في الامور المستحدثة.

هل هذه النصوص التى تحكم اليها ، والتي كتبها الطهطاوى في أوائل حياته في « تخلص الابرز » واستمر عليها الى أواخر حياته الفكرية ، فى آخر كتبه وهو « مناهج الالباب » ١٨٦٩ - .. بل وفي « كتاب المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » الذى كتبه فى السبعينيات حين فتحت مدارس البنات فى مصر من القرن الماضى .. هل هذا الموقف الثابت من الطهطاوى على امتداد مشروعه الفكرى ، يجعل هناك مجال لأن يحشر هذا الشيخ الجليل فى زمرة دعاة التنوير بهذا المعنى الغربى ؟

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥١٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

جمال الدين الافغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧م)

وجمال الدين الافغانى ، الذى يحشرونه في هذه الزمرة - زمرة التنوير الغربى - نحن نعتبره الرائد الذى ارتاد اليقظة الاسلامية الحديثة ، التي نحن الامتداد المتطور لها . فكل المستنيرين ، والمجددين ، ومدرسة التجديد والاحياء ، وما نسميها باليقظة أو الصحوة الاسلامية هي امتداد متطور لمدرسة الافغانى . وعجبا لهؤلاء الذين يريدون أن يضعوه في مستنقع الفكر « الوضعى الغربى » !

الافغانى دعا الى بناء النهضة الحديثة على الاصول الشرقية القديمة الموروثة .. وحذر من « البدء من حيث انتهى الاوروبيون » .. ونقد التحديث على النمط الغربى .. بل ويصف دعاة البدء من حيث انتهى الاوروبيون بأنهم طابور خامس يفتحون ثغرات الاختراق في جدار مقاومة الأمة ، ليفتحوا الميادين لجيوش الغزاة ! يقول : أن الظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث ، انما يلزم له التمسك ببعض الاصول التي كان عليها اباة الشرقيين وأسلافهم .. ولا ضرورة ، في إيجاد المنعة ، إلى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التي جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى ولا ملجأ للمشرقى في بدايته أن يقف موقف الأوروبى

في نهايته ، بل ليس له أن يطلب ذلك ، وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أقر « أعجز » نفسه وأمه وقرا أعجزها وأعوزها (١) وعن الإزدواجية في التعليم قال : « لقد شيد العثمانيون عدداً من المدارس على النمط الجديد ، ويعثو بطوائف من شبابهم الى البلاد ليحملوا اليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب وكل ما يسمونه « نمذنا » .

وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني ! فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك ؟ « وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة « نعم .. ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية ، وماشاكلها .. وسموا أنفسهم زعماء الحرية ! .. ومنهم اخرون قبلوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا عيشت المأكل والملابس والفرش والآية ، وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجبية ، وعدوها من مفاخرهم ، فتفوا بذلك ثروة بلادهم الى غير بلادهم وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم ! وهذا جدع لأنف الأمم ،

(١) (الأعمال الكاملة) ص ٥٢٢ . دراسة وتحقيق ك . محمد عمار . طبعه القاهرة .

يشوه وجهها ويحط بثأنها ، لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل
أمة ، المتحليين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها .
وطلائع لجيوش الغالبيين وأرياب الغازات ، يصعدون لهم
السبل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم ^(١) الأعمال
ص ١٩٥ - ١٩٧ .

وهذا النص نهديه للمثقفين لدراسة ويقولوا لنا مع أي فريق
يقف الأفغانى ؟ مع التجديد الإسلامى ؟ أم مع التنوير الغربى
العلمانى ؟؟

(١) المصدر السابق . ص ١٩٥ - ١٩٧

الامام محمد عبده

(١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م)

يزعم دعاة التنوير الغربي أن الامام محمد عبده هو زعيم التنوير ،
الذى تحول ، على يد الحركة الاسلامية ، الى « محنة للتنوير »
والمدهش أن هؤلاء ينسبون لامامنا محمد عبده كلمة - وانا الذى
بحثت فى كل كتبه واعماله لمدة خمس سنوات - فلم أر تلك الكلمة
التي يزعمون نسبتها اليه ، وهى أنه حينما سافر الى الغرب قال « رأيت
هناك مسلمين ولا اسلام ، ورأيت هنا اسلام ولا مسلمين »

منى وأيس قال هذا الكلام ؟ أنا أنتظر من أى شخص يدعى أن
محمد عبده هو قائل هذه العبارة أن يدلنا على المصدر ؟ |

فما بالنّا ولدينا نصوصاً ثابتة قائمها ، تنفى جملة وتفصيلا هذه
العبارة الزائفة ؟! فقد رد على « هانوتو » وزير خارجية فرنسا وعلى
بشارة تولا ومقالاته فى « الاهرام » . فقال محمد عبده عن
الحضارة الغربية : « ان هذه المدنية - مدينة الملك والسلطان ، مدينة
الختل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو « الجنه » عند قوم « واليرة »

عند قوم آخرين ، ولا دخل لأنجيل في شيء من ذلك «^{١١١} ، وفي نقده
للحضارة الغربية انتقد السلطة الدينية والكنهية في أوروبا في العصور
الوسطى .

وبالمقارنة ، أسوق إليكم . تزييف دعاة التنوير - وهم تلامذة
العلمانية - حينما نشروا كتاباً لمحمد عبده يحمل اسم « الإسلام
والنصرانية مع العلم والمدنية » فقاموا بحذف كلمة النصرانية فأصبح
عنوان الكتاب « الإسلام بين العلم والمدنية » وفي الكتاب نقد
موضوعي من محمد عبده للنصرانية .. لكنهم عجلوا أن يذكروا عنوان
الكتاب كما كتبه صاحبه .. وحتى العنوان الذي كتبه لا معنى له ،
فما معنى « الإسلام بين العلم والمدنية » ؟ بل .. وهذه هي الطامة
الأكبر - فلقد حذفوا ما كتبه بهذا الكتاب عن النصرانية .. ووضعوا
بدله مقالات له لا علاقة لها بالكتاب ؟!

ذلك أن محمد عبده كتب هذا الكتاب رداً على « فرح أنطون »
الذي نشر له « الهيعة » كتاباً في سلسلتها عن ابن رشد - ولم
يذكروا أن محمد عبده رد على هذا الكتاب « ابن رشد » حين نشره

(١١١) الأعمال الكاملة ج ٣ ص ٢٠٥ . دراسة وتحقيق د. محمد عمارة . طعة بيروت

فرح أنطون، خاصة وأن فرح أخذ كلام « ريتان » عن ابن رشد ، وقال :
أن ابن رشد « فيلسوف مادي قاعدة مذهبه العلم فرد محمد عبده علي
شرح ريتان وقال : أن ابن رشد « فيلسوفاً مؤمن » ، وقد أن يكون
فيلسوفاً مادياً أو ملحداً .

ينتقد محمد عبده الكهانة والسلطة الدينية في أوروبا في العصور
الوسطى ، فيقول : « أن الاسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية .. التي
عرفتها أوروبا .. فليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة
الحسنة ، والدعوة إلى الخير ، والتفسير من الشر .. وهي سلطة غزواتها
الله لكل المسلمين ، أذنانهم وأعلاهم .. والأمة هي التي تولى الحاكم
وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي تخطعه متى رأت ذلك من
مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ، ولا يجوز لصحيح
النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بها بسميه الأفريغ « تيوكراتيك »
أي سلطان إلهي .. فليس للحليفة .. بل ولا للقاضي ، أو المفتي أو
شيخ الاسلام أدنى سلطة على العقائد وتخريب الأحكام ، وكل سلطة
تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية ، فدرها الشرع الاسلامي ..
فليس في الاسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه ، بل إن قلب

السلطة الدينية ، والاثبات عليها من الأساس ، هو أصل من أجل أصول
الاسلام . (١)

والامام محمد عبده تحدث كذلك عن وسطية الاسلام فقال :
« ظهر الاسلام ، لا روحياً مجرداً ، ولا جسدياً جامداً ، بل إنسانياً
وسطاً بين ذلك ، أخذاً من كل القيلين بنصيب ، فتوفر له من ملائمة
الخطورة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، ولذلك سمي نفسه : دين القطرة ،
وعرف له ذلك خصوصه اليوم ، وعدوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها
البرابرة على سلم المدنية . »

ان الاسلام دين وشرع فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً * ولا
نكتمل الحكمه من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود ،
وتففيذ حكم القاضى بالحق ، وصون نظام الجماعة .. والاسلام لم
يدع ما يقصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصره على ما له
، ويأخذ على يده فى عمله ، فكان الاسلام : كاملاً للشخص ، وألقه
فى البيت ، ونظاماً للملك .

لماذا لا يُبرز هذا النص الذى يتحدث عن شمول شرع الاسلام
للفرد والأسرة والدولة .

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ .

وحينما جاء محمد عبده لينكلم عن مشروع النهضة .. كيف
 نهض ؟ وما المرجعية لنهضتنا ؟ .. تجده يقول : « أهل مصر قوم
 أذكاء .. يغلب عليهم لين الطباع ، واشتداد القابلية للتأثر ، لكنهم
 حفظوا القاعدة الطبيعية ، وهي أن البذرة لا تنبت في أرض إلا إذا كان
 مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ، ويتنفس بهوائها ، والا ماتت
 البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ، ولا على البذرة
 وصحتها ، وإنما العيب على البافر - أنفس المصريين أثرت الانقياد
 إلى الدين ، حتى صار طبعاً فيها ، فكل من طلب اصلاحها من غير
 طريق الدين فقد بدر بذكراً غير صالح للتربة التي أودعه فيها ، فلا تنبت ،
 ويضيع ثعبه ، ويخفق سعيه ، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر
 التربية التي يسمونها أدبية ، من عهد محمد على إلى اليوم .. فإن
 المأخوذتين بها لم يزدادوا الا قسداً ، وإن قيل أن لهم شيئاً من المعلومات ،
 فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في
 نفوسهم » .

ويضيف : « إن سبيل الدين لمريد الاصلاح في المسلمين ،
 سبيل لا مندوحة عنها ، فإن اتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية
 عن صبغة الدين ، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد ، ليس عنده من مواده

شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً .

ثم يتساءل : « وإذا كان الدين كافلاً بتهديب الأخلاق ،
وصلاح الأعمال ، وحمل النقوس على طلب السعادة من أربابها ،
ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره ، وهو حاضر لديهم ، والعناء
في أرجاعهم إليه أخف من أحداث ما لا المأم لهم به ، فلم العدول عنه
إلى غيره ؟؟ » (١)

فهو يتحدث عن « إسلامية النهضة » وإسلامية الدولة وال عمران
.. فهل لهذا الفكر علاقة بمفاهيم التنوير الغربي التي تنفي الدين ،
وتكتفي بالعقل والتجريب ؟؟ ..

(١) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٣١

الشيخ علي عبد الرازق

(١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م)

تأني إلى صاحب أول كتاب نشره اخواننا « الثنورون » وهو الشيخ علي عبد الرازق - عليه رحمة الله - الذي نشر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » في ابريل ١٩٢٥ .. وقال في هذا الكتاب « إن الاسلام : رسالة لا حكم ودين لا دولة » . وجاءت هذه المقولة على هيئة عنوان داخل الكتاب .. أي أن الرجل كان صريحاً ، يريد أن يعلن الاسلام ، ويقول أن الاسلام مثله كمثل المسيحية واليهودية ، وأن محمداً لا علاقة له بالسياسة ، وأنه لم يكن حاكماً .. ويقول « يابعد ما بين السياسة والدين » . وهو التعبير الذي استخدمه السادات فيما بعد بقوله « لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين » ! يقول الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » تحت عنوان « رسالة لا حكم ودين لا دولة » .. (ان محمداً - ﷺ - ما كان الا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين ، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وأنه - ﷺ - لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، ما كان الا رسولاً كاخوانه المغالين من الرسل ، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ، ولا داعياً الى ملك .. ان

ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي - ﷺ - لم يكن له شأن في الملك السياسى ، وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ الضمرد من كل معانى السلطان .. ولاية الرسول على قومه ولاية روحية .. وولاية الحاكم ولاية مادية .. تلك ولاية هداية الى الله وإرشاد اليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للنبيين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك رعاية دينية، وهذه رعاية سياسية ، ويا بعد ما بين السياسة والدين (١) .

وفي اغسطس من نفس العام - ١٩٢٥ م - اجتمعت « هيئة كبار العلماء » وحاسبوه - فى محاكمة تأديبية - وسحبوا منه شهادة « العالمية » ، باعتبار أن ما قاله يتناقى مع هذه الشهادة .. والغريب فى الأمر أنه فى الشهر الذى يليه، وهو شهر سبتمبر، صرح نصرياً ضد ما قاله فى كتابه ! .. وقال : « ان الاسلام دين تشريعى، وإنه يجب على المسلمين إقامة شرائعه وحدوده، وإن الله خاطبهم جميعاً بذلك، ولكن الله لم يفذهم بشكل مخصوص ، من أشكال الحكومات ، بل ترك لهم الاختيار فى ذلك، وفق مقتضيات الزمن، وحيث نكون المصلحة » (٢)، أى أنه بعد أقل من شهر عن محاكمته قال: أن الاسلام

١ ١ ١ الاسلام وأصول الحكم « ص ٤٨-٨٠ طبع القاهرة عام ١٩٢٥ م .

٢ « صحيفة « السياسة » عدد أول سبتمبر عام ١٩٢٥ م .

« دين نشرعى » والأمة - وليس الحاكم فقط - جميعها مخاطبة
بإقامة الشرائع الإسلامية ، باعتبار تطبيق الشريعة أحد الواجبات الدينية ،
وهو ما ينقض دعوى كتابه : أن الإسلام ورسوله قد وقفا عند
« التبليغ » دون « التنفيذ والتطبيق » !

وفي حوار له مع أحمد أمين ، في جلسة خاصة سنة ١٩٥١م
حول علاج جمود المسلمين .. قال الشيخ علي عبد الرازق : « إن دواء
ذلك أن نرجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط ،
ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل .. الخ » .

فلما نشر أحمد أمين هذه العبارة في مجلة « رسالة الإسلام »
عدد أبريل ١٩٥١ - جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ - بمقال عنوانه
« الاجتهاد في نظر الإسلام » ، عقب علي عبد الرازق بالعدد التالي من
المجلة - مايو ١٩٥١ - فاعترف بالعبارة المنسوبة إليه .. لكنه نسب إلى
الشیطان القاءها على لسانه !؟ .. ونبراً منها .. وقال : « أرجو ألا يظن
صديقي أحمد أمين بك .. أو من يقرأ كلمتي هذه ، أنني أمارى من
قريب أو من بعيد في صحة الحديث الذى رواه عنى » فإني لأذكر هذا
الحديث نفسه وأذكر أين ومتى كان ، وما ينبغي لشيء يرويه أحمد بك
أمين أن يكون موضعاً للمراء ، وما أرى في الأمر إلا أن هناك خطأ في

التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نحادل فيه ونستعرض حال المسلمين ، وما أذكرى كيف تسربت كلمة روحانية الإسلام إلى لسانى يومئذ ؟ ولم أزد معناها !! ولم يحطرنى مال !! .. بل لعنة الشيطان ألقى فى حديثى بذلك الكلمة .. وللشيطان أحياناً كلمات يلقبها على ألسنة بعض الناس .. وهذه كلمة تصحح وضعاً شخصياً أرى من الانصاف أن يصحح : ١٤

نقول لمن نشر كتاب على عبد الرزاق اليوم : لماذا لم تقولوا ما حدث : متى كان على عبد الرزاق تنويرياً ؟ ومتى تراجع ؟ ؟ وإذا كان على عبد الرزاق قد صحح رأيه فإن العثمانيين لم يصححوا .. بل نشروا « كتابى الإسلام وأصول الحكم » الذى رفض صاحبه أن يعيد طبعه مرة أخرى : وعندما أعيد طبعه فى السبعينيات قامت أسرة الشيخ على عبد الرزاق برفع قضية على الناشر ، وقالت إن نشر الكتاب يسمى إهـى على عبد الرزاق لأنه كان عزوفاً عن إعادة نشره ! ..

والأكثر من هذا ، أننى حينما نشرت كتابى « معركة الاملاام وأصول الحكم » وقلت فيه أننى قابلت ابن على عبد الرزاق - محمد - الذى قال لى أن والده كان يريد أن يكتب مقدمة فى أواخر حياته يوضح فيها ملابسات هذا الكتاب .. فجاءت بنته الدكتورة سعاد

فنشرت مقالا « بالوفد » وقالت أن والدها لم يتراجع عن رأيه !! وعندما
 قرأت مقالها كلفت أحد الصحفيين بجريدة الوفد - وهو الصحفي
 الشاب عماد الغزالي - قبل أن يترك الجريدة - في أن يحقق هذه
 القضية ، وأن يسأل شهود العصر حول علاقة الشيخ علي عبد الرازق
 بهذا الكتاب ، بحثاً عن تفسير لرفضه إعادة طبعه .. فاكشفنا أشياء
 شديدة الغرابة .. فقد قام الصحفي بمقابلة الشيخ الغزالي ، الذي قال
 أنه قابل علي عبد الرازق في الجامع الأزهر ، وقال له أنه لا علاقة له
 بهذا الكتاب !! .. وقال الشيخ أحمد مسلم - عضو لجنة الفتوى
 بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية - أنه سأل علي عبد الرازق -
 وكان يصلي خلفه - كيف قلت ما قلت في هذا الكتاب ؟ .. فأجابته
 أن هذا كتاب الدكتور طه حسين . ولا علاقة لي به !! كما نشر
 الدكتور محمد الدسوقي - المكرّم المجمع لطفه حسين - اعتراف طه
 حسين له : أنه قد راجع كتاب الإسلام وأصول الحكم ثلاث مرات
 وأجرى فيه تعديلات كثيرة !! .. وكل هذا الكلام تشر في حقائق
 بجريدة الوفد ..

وهنا فهمت لماذا قال الشيخ علي عبد الرازق أن ما جاء بالكتاب
 ليس رأيه .. وإنما كلمة لقهاها الشيطان على لسانه !! ..

المهم في هذا الموضوع هو ما انتهى اليه الشيخ على فيما يتعلق
بأن الاسلام رسالة روحية فقط .. فالرجل عدل عنه .. أما الذين
ينشرون الآن كتابه ضمن سلسلة كتب المواجهة فإنهم يكذبون عندما
يخفون هذا التصحيح ، وهذا الموقف الذي انتهى اليه هذا الرجل !

د. طه حسين

(١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م)

أما د. طه حسين فهو ، في مشروعه الفكري ، وكتبه ، « في الشعر الجاهلي » .. وكتابه الذي نشرته الهيئة والذي يحمل عنوان : « مستقبل الثقافة في مصر » - وهو أخطر ما كتبه طه حسين من كتب التغريب - .. طه حسين هذا يعد امام المثغربين والمقلدين للغرب .. إنه يقول : « إن السبيل واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا انواء » وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي أن تسير سيرة الأوروبيين وتسللك طريقتهم ، لتكون لهم أنداد ، وتكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، ما يحمد منها وما يعاب ! » (١)

وأيضاً قال عن علمانية الدولة : « ان وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول » و « ان السياسة شيء والدين شيء آخر » (٢) .

(١) « مستقبل ثقافة في مصر » ج ١ ص ٤٥ . طعة القاهرة عام ١٩٣٨ م .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

الاحقر من كل هذا أنه يقول : أن العقل الشرقي يوناني !! وأن

الاسلام لم يغير شيئا من يونانية العقل الشرقي فيقول في كتابه : « ان
العقل الشرقي هو - كالعقل الأوربي - مرده الى عناصر ثلاثة :

* حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفقه

* وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه

* والمسيحية وما فيها من دعوة الى الخير وحث على الاحسان

وكما لم يغير الأنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي ، فكذلك
القرآن لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي ، لأن القرآن إنما جاء
متصفاً ومصدقاً لما في الأنجيل !! وهكذا كانت مصر دائماً جزءاً من
أوروبا ، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، على اختلاف
فروعها وألوانها (١) .

أما ما كتبه « في الشعر الجاهلي » - وأنا أقول أن القضية
ليست قضية أن الشعر الجاهلي متحل - ولكنه في ص ١٦ وبالتحديد
في ٢٨ - سطرا هم أخطر ما كتبه بهذا الكتاب - وبعد أن قال أن
القرآن نص لاشك فيه .. عاد وشكك في علاقة الاسلام باللغة الحثيفية
الابراهيمية ، بل وشكك في قصة بناء الكعبة ورفع قواعدها بواسطة

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٦

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .. وأخبار الرحلة الحجازية لإبراهيم عليه السلام^(١) . ولكنه حينما أعاد طبع الكتاب وغير عنوانه من « في الشعر الجاهلي » إلى « في الأدب الجاهلي » حذف هذه السطور التي شكت بها في القرآن .

ولكن ماذا صنع طه حسين بكتاب « مستقبل الثقافة » الذي نشره الآن تلاميذه القنوير « في أربعة أجزاء » ككتاب من كتب التنوير؟ لقد أعاد الرجل طبع جميع كتبه إلا هذا الكتاب !! هذا موقف .. لكن لماذا لا يعلم ؟ لماذا لا يريدون إعلان موقفه هذا ؟؟ ليس هذا فقط .. فلقد أُخبرني معه حديث بجريدة « الأهرام » في مارس ١٩٧١ م . وحينما سئل عن رأيه في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » قال : « ده كُتب سنة ١٩٣٦ .. قدم قوي ، عاود بنجدد .. ويجب أعود إليه ، وأصلح فيه بعض حاجات وأضيف » وهذا الكلام المنشور لا يرى اخواننا أنه في صالحهم . لذلك لا يبررونه بل يعيدون طبع الكتاب بلا حياة ! .. تماما مثلما حذفوا كلام علي عبد الرازق الذي تراجع فيه . ونحن نقول هذا الكلام لا نصاد هؤلاء العلماء والمفكرين .. لأن طه حسين الذي قال أن السياسة ليست مقبوما من

(١) الشعر الجاهلي ص ١٦ ، ٨١ ، ٨١ طبع القاهرة ١٩٢٦ م

مقومات الدولة ، والذي قال لا علاقة للدين بالسياسة .. وأن اللغة ليست مقوماً من مقومات وحدة الدولة ، بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ - قال : إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية « فغير موقفه » وحينما جاءوا به عضوا في لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ ، دارت مناقشة حول حرية المرأة وحقوقها ، وكان موجودا باللجنة د. عبد الرحمن بدوي .. فقال طه حسين : « انه من المقطوع به أن الأغلبية لن تقبل أن تخرج ، عند وضع الدستور ، على ما أمر به الاسلام .. ولكن لابد لنا من أن نحاط ، فنقول أنه ليس هناك أي مقتض يسمح لنا بأن نعدل عن نص القرآن .. أريد أن أقول »

أنه إذا وجد نص ديني صريح بالحكمه والواجب يقتضيان الا تعارض النص ، وأن تكون من الحكمه ومن الاحتياط بحيث لا ينسر الناس في شعورهم ، ولا في ضمائرهم ولا في دينهم .. »

وقال أيضاً : « إذا احترمت الدولة الاسلام فلا بد ان تحترمه جملته وتفصيلاً ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتب وكفراً ببعضه الآخر (١) »

(١) « لجنة مشروع الدستور » ص ٨١ ، ١٢١ مطبعة القاهرة - وزارة الارشاد القومي - بدون تاريخ والجلسة التي قال فيها هذا الكلام تاريخ انعقادها ٤ / ٦ / ١٩٥٣ م .

ونحن الآن نرى أن إخواننا المتغربين ، حينما ينشرون لطف حسين
يختارون ما يمثل التنوير بهذا المعنى الغربي : فنقول لهم : أنتم نظيمون
طفه حسين ، لأنكم لا تتبعون خط تطوره الفكري ، الذي انتهى به إلى
أن يقول : « لا بد أن نلتزم بالقرآن جملة وتفصيلاً » ١٩ .

وهو تصور مناقض للتنوير الغربي العلماني .

سعد زغلول

(١٢٤٦ - ١٢٧٢ هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م)

والعلمانيون يدعون أن ثورة ١٩١٩ علمانية ، وأن شعارها - وهو : « الدين لله والوطن للجميع » - علماني كيف يكون هذا وهي قد خرجت من عبادة الدين .. لقد خرجت من الجامع والكنيسة .. فكيف تكون علمانية اذا كانت قد خرجت من دور العبادة ؟ حتى ان كلمة الدين لله هي آية قرآنية « ويكون الدين لله » (١) « والوطن للجميع » ، ليست فقط شعاراً اسلامياً ، بل يقول الله تعالى : ﴿والا ارض وضعها للانام﴾ (٢) ثم من الذي يقول أن الاسلام ، الذي بدأ دولته في المدينة قبل اربعة عشر قرناً ، بتعددية دينية للرعية ، يرفض ان يجعل الارض للجميع ؟ .. إذن « الدين لله والوطن للجميع » شعار اسلامي وليس شعاراً علمانياً .. وأذكر انني كنت احاور احد العلمانيين فقال لي « ولكن صقية زغلول خلعت ما على وجهها من حجاب ؟ » وانا اقول : هل السيدة صقية زغلول اصبحت متبرجة ؟! - لقد اظهرت وجهها وكفيتها .. وهذا هو الحجاب الشرعي -

(٢١) البقرة : ١٩٣

(٢٢) الرحمن : ٦٠

المهم في الموضوع أن سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ حينما سُئل عن الثورة ، وقيل له : أنت زعيم هذه النهضة ، قال : هذا شرف لا أدعيه .. وإنما نهضتكم بدأت منذ جمال الدين الأفغانى .. والأكثر من هذا أن الإمام محمد عبده فى مراسلاته لسعد زغلول تجده لا يخاطبه الا بعبارة : « الشيخ سعد » .. فكيف يدعون أن الرجل كان علمانيا ؟

يضاف الى ذلك نقده الدقيق والحاسم لعلى عبد الرازق وكتابته « الاسلام وأصول الحكم » سنة ١٩٢٥ ، بل ان سكرتيره الجيرى ، وكان من الخامين الشرعيين ، وكان يشرف على مجلة للقضاء الشرعى ، دخل عليه فسأله سعد زغلول عما كتب فى المجلة من ضرورة مناصرة على عبد الرازق بدعوى حرية الرأى .. وقال سعد زغلول : هناك فارق بين حرية الرأى وهدم الاسلام .. وكتاب على عبد الرازق يهدم الاسلام ..

والاسلام دين مدنى ودين حكم ، وعندما حكمت به الأنم حقق لها السعادة ولا يزال يحقق السعادة للأمم التى تحكم به حتى الآن ..

وهذا نص مقاله الذى نُقِمْ به من يريد وضعه فى صفوف
العلمانية ، وبه تنصف هذا الرجل - : « لقد قرأت كتاب « الاسلام
وأصول الحكم » بامعان ، لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ
والصواب ، فعجبت : أولا كيف يكتب عالم دينى بمثل هذا الأسلوب
فى مثل هذا الموضوع ؟! لقد قرأت كثيراً للمستشرقين ولسواهم فما
وجدت ممن طعن منهم فى الإسلام حدة كهذه الحدة فى التعبير ،
على نحو ما كتب الشيخ عبد الرزاق . . لقد عرفت أنه جاهل بقواعد
دينه ، بل بالسيط من نظرياته ، والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس ديناً
مدنياً ؟ ولا هو بنظام يصلح للحكم ؟! فأية ناحية من نواحي الحياة لم
ينص عليها الاسلام ؟! هل البيع ؟! أو الاجارة ؟! أو الهبة ؟! أو أى
نوع آخر من المعاملات ؟! ألم يدرس شيئا من هذا فى الأزهر ؟! أو لم
يقرأ أن أمما حُكمت بقواعد الاسلام فقط عهدودا طويلة كانت تُنصر
المصور ؟! وأن أمما لا تزال تُحكم بهذه القواعد ، وهى آمنة مطمئنة ؟!
فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟! أين كان هذا الشيخ من
الدراسة الدينية الأزهرية ؟! ان قرار « هيئة كبار العلماء » بإخراج الشيخ
على من زمرتهم قرار صحيح لا عيب فيه ، لأن لهم حقا صريحا
بمقتضى القانون ، أو بمقتضى المنطق والعقل ، أن يخرجوا من يخرج

على أنظمتهم من حظيرتهم ، وذلك أمر لا علاقة له مطلقاً بحرية الرأي .. لقد فعل العلماء ما هو واجب وحق ، وما لا يجوز أن توجه اليهم أدنى ملامة فيه .. والذي يؤلمني حقاً أن كثيراً من الشباب الذين لم تقو مداركهم في العلم القومي ، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الإعجاب بكل جديد ، سيتيحون مثل هذه الأفكار ، خطأ كانت أو صواباً دون تمحيث ولا عرس ، وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأي ، وبين قواعد الاسلام الراسخة الذي تصدى كتابه لهدمها .. (١)

هذا هو سعد زغلول ، الذي بقروا عليه ، عندما يضعونه في سلة « التنوير الغربي العلماني » .

(١) محمد ابراهيم الجزيري (سعد زغلول : ذكريات تاريخية) ص ٩٢ ، ٩٣ طبعة القاهرة

د. محمد حسين هيكل باشا

(١٣٠٥-١٣٧٥ هـ - ١٨٨٨-١٩٥٦ م)

لقد شغل هيكل باشا منصب رئيس تحرير جريدة « السياسة » في عام ١٩٢٥ ، وكان أول من دافع عن علي عبد الرزاق وكتابه « الإسلام وأصول الحكم » . وكان قبل ذلك - حينما كان محررا «الجريدة» مع لطفي السيد باشا - من أوائل من بشروا بالقومية على النمط الغربي ، وكان هو ولطفي السيد يقفان ضد رابطة « الجامعة الإسلامية » على اعتبار أنها استعمار !! . وفي مرحلة من مراحل حياته بشر بالفرعونية ثم جاء الرجل وبدأ مشروعه الإسلامي ، حيث نشر سنة ١٩٣٠ كتابه « حياة محمد » ثم « الفاروق عمر » وفي ١٩٣٥ نشر كتابه « في منزل الوحي » وفيه نقد مسيرته الفكرية نقدا شجاعا وبذلك أصبح نموذجا للإنسان حينما يتطور فكره فيأخذ هذا الموقف الشجاع في نقد ماضيه ، وذلك رغم النقد اللاذع الذي وجه إليه من أصدقائه وخاصة من طه حسين ، الذي كتب مقالات بالفرنسية وقد ترجمت هذه المقالات وجمعت في كتاب نشر بيروت بعنوان « من النشاط الآخر » .. يقول طه حسين في مقالاته الفرنسية أن كتابه «على هامش السيرة» أساطير وليست تاريخا !! وأن هيكل قد تناول

موضوع التراث بصورة جدية ! أى أنه يعيب على هيكل جديته فى الانتماء إلى التراث (١) أما هيكل ، فقد قال عن ناقديه أننى لا أعجب ممن ينتقدونى ، والذين يقولون أننى كنت من المجددين ثم أصبحت من المقلدين الرجعيين - فلا تثريب عليهم ، لأننى كنت أقول ما يقولون ! ، وما اكتشفته أنا كان يخفى علىّ فى فترة من الفترات .

وفى نقد هيكل باشا لفكرة الانتماء القومى - بالمعنى الغربى - ودفاعه عن فكرة «التوحيد الإسلامية» و «الجامعة الإسلامية» يقول : «أن الفكرة الإسلامية المبنية على التوحيد ، تحالف ما يدعو إليه عالمنا الحاضر من تقديس القوميات ، وتصوير الأمم وحدات متنافسة، يحكم السيف وتحكم أسباب الدمار بينها فيما تنافس عليه ، ولقد تأثرنا معشر أمم الشرق بهذه الفكرة القومية ، واندفعنا لنفخ قبيها روح القوة ، نحسب أننا نستطيع أن نقف بها فى وجه الغرب الذى طغى علينا وأذلنا ، وخيل إلينا من سذاجتنا أننا قادرون بها وحدها على أن نعيد مجد آبائنا ، وأن نستردها ما غصب الغرب من حريتنا ، وما أهدر بذلك من كرامتنا

(١) طه حسين ١ من الشاطئ الآخر ، طه حسين فى جديده الذى لم ينشر سابقاً

ص ٦٦، ٦٥ ترجمة - عبد الرشيد الصادق محمودى - طبعة بيروت ١٩٩٠ م

الإنسانية ، ولقد أنسانا يريق حضارة الغرب ما تتطوى هذه الفكرة القومية عليه من جرائم فتاة بالحضارة التي تقوم على أساسها وحدها ، وزادنا ما نخيم علينا من سجن الجهل إمعانا في هذا النسيان ، على أن التوحيد الذي أضاء بنوره أرواح آبائنا ، قد أورثنا من فضل الله سلامة في الفطرة هدتنا إلى تصور الخطر فيما يدعو الغرب إليه .. ولذلك لم يكن لنا مفر من العودة إلى تاريخنا لنلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية لنخرج من جمودنا المذل ، ولنتقى الخطر الذي دفعت الفكرة القومية الغرب إليه ، فأدامت فيه الخصومة بسبب الحياة المادية التي جعلها الغرب الهمة (١)

وفي نقد الدكتور هيكل للعلمانية - التي كان يدافع عنها حينما دافع عن علي عيد الرازي - يقول في كتابه «حياة محمد» : « هنا - في المدينة بعد الهجرة - يبدأ طور جديد من أطوار حياة محمد ، لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسي .. وهذا الطور من حياة الرسول لم يسبقه إليه نبي ولا رسول فقد كان عيسى وكان موسى وكان من سبقهما من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية يلقونها للناس عن طريق العدل وعن طريق المعجزة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان أن ينشروا

(١) أفق منزل الوحي آ ص ٢٢ - ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧

هذه الدعوة ، فأما محمد ، فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، وأن يكون الرسول والسياسي والمجاهد والفاخ .. لقد أقام محمد دين الحق ، ووضع أساس حضارة هي وحدها الكفيلة بسعادة العالم والدين والحضارة اللذان بلغتهما محمد للناس يوحى من ربه بتزويجان ، حتى لا انفصال بينهما .. وقد خلا تاريخ الإسلام من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية - أى بين الكنيسة والدولة فأُتجاه ذلك مما ترك هذا النزاع فى تفكير الغرب وفى اتجاه تاريخه (١) .

ثم ينتقد التغريب بشكل عام فيقول «لقد خيل إلى زما ، كما لا يزال يخيل إلى أصحابي ، أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية هي سبيلنا إلى النهوض والتقدم .. فحاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية والروحية ، لنتخذها جميعا هدى ونبراسا .. ولكننى أدركت بعد لآى ، أنني أضاع البذر فى غير منبته ، فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمحض عنه ، ولا تبعث الحياة .. وما أزال أشارك أصحابي فى أننا مانزال فى حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب العقلية كل ما نستطيع نقله ، ولكننى أصبحت أخالفهم فى أمر الحياة الروحية ، وأرى أن ما فى الغرب منها غير صالح لأن ننقله ، فاريخنا الروحي غير تاريخ الغرب ،

(١) حياة محمد آ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٥١٦ ، ٥١٩ طبع القاهرة سنة ١٩٨١

وثقافتنا الروحية غير ثقافته ، خضع الغرب للتفكير الكنسى على ما أقرته البابوية المسيحية منذ عهدها الأول ، وبقي الشرق بريثا من الخضوع لهذا التفكير ، بل حورت المذاهب الإسلامية التى أرادت أن تقيم فى العالم الإسلامى نظاما كنسيا أهول الحرب ، فلم تقم لها فيه قائمة أبدا كيف نستطيع أن ننقل ثقافة الغرب الروحية للمنهوض بهذا الشرق ، وبيننا وبين الغرب فى التاريخ وفى الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم ، والحياة المعنوية هى قوام الوجود الإنسانى للأفراد والشعوب .. لا مفر إذا من أن نلتصق فى تاريخنا وفى ثقافتنا وفى أعماق قلوبنا وفى أطوار ماضينا هذه الحياة الروحية نحى بها ما فتر فى أذهاننا ونحمد من قرأنا ونحمد من قلوبنا .. هذا كلام واضح بين ومن عجب أن يخفى على أصحابى الذين غمزوني بعد تأليف كتابى «حياة محمد» عندما حسبوا أنني إنقلبت بكتابة السيرة رجعياء وكنت عندهم قبلها فى طليعة المجددين !! من عجب أن يخفى هذا على أصحابى ، فلا يرونه وأن يكون خفاؤه سبب تزييههم على ! ولكن لا عجب ، فقد خفى هذا الكلام عني سنوات ، كما لا يزال خفيا عن كثيرين منهم !! (١) .

(١) (فى منزل الوحي) ص ٢٢ - ٢٦ وهو يشير إلى طه حسين - الذى قال فى « من الشاطئ الآخر » إن منهج هيكل فى كتابة السيرة كان « مؤداه خروج السلفية التقليدية طافرة على الدوام » وقال : « ولقد طلق حسين هيكل فى كتابه منهج جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى التوفيق بين العقيدة الإسلامية وبين العلم والحضارة المعاصرة » أنظر أم من الشاطئ الآخر ص ٦٥ ، ٦٦ .

وفى نقده الفرعونية قال فى نفس الكتاب « ولقد انقلبت الشمس فى تاريخنا البعيد ، فى عهد الفراعين ، موثلاً لوحى هذا العصر ، ينشأ فيه نشأة جديدة ، فإذا الزمن وإذا الركود العقلى قد قطعاً ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذراً لنهضة جديدة » .. وروايات - انظرات دون عجلة - فرأيت أن تاريخنا الإسلامى هو وحده البذر الذى يثبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس ، وتجعلها تهتز وترسو ، ولأبناء هذا الجيل فى الشرق نفوس قوية حصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتى ثمارها بعد حين - لم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى أحياء حضارتنا الشرقية» (١) .

بهذه النماذج التى تذكر عادة من قبل المتغربين فى إطار «التنوير» بالمعنى الغربى الذى يشرّون به .. احتكمتنا إلى هذه النصوص التى تبين أن هناك فرية تفتري علينا ، وأن هناك تريفاً لتاريخنا ، والمدهش أنه ينطلى على بعض الإسلاميين .. ففى نفس العدد من

(١) (فى منزل الوحى) ص ٢٢ - ٢٦ .

جريدة «الحياة» - الذى أشرت إليه سابقا - نجد الشيخ يوسف
 البدرى يفترى على رفاة الطهطاوى .. ونحن نعلم أن المرحوم د.
 محمد محمد حسين فى كتابه «الاتجاهات الوطنية فى الأدب» نجد أن
 طبعته الأولى برئت من الهجوم على هؤلاء الرموز والأعلام المجددين ،
 بينما الطبعة الثانية - للأسف الشديد - كتب فيها كلاما سيئا حين
 جعل كل هذه الرموز متغربة، وعملاء ! وذلك لأنه وقع فى حبال
 كتاب لمشتشرق يهودى اسمه «إلى كادورى» قال فيه : أن الأفغانى
 ومحمد عبده والطهطاوى ملحدون فبنى محمد حسين هذا الكلام...
 وكتابه يعد من الكتب التى لعبت أسوأ الأدوار لدى شريحة من الحركة
 الإسلامية ، ولذلك نجد يوسف البدرى يقول عن رفاة الطهطاوى -
 بجريدة الحياة «... رفاة الطهطاوى الذى ذهب إلى باريس إماما ليعت
 علمية ، وعاد إماما للتنوير الذى يغنى العلمانية ، وإقصاء الدين عن
 الحياة» فيتفق هذا النفر من الإسلاميين مع العلمانيين فى تشويه
 الطهطاوى الذى رأينا نقده «الموضعية العربية» ودفاعه عن «الشرع»
 كمعيار للتحصين والتقيح ، وانحيازه إلى «بحر الشريعة الغراء» ضد
 القانون الوضعى الغربى !..

سلامة موسى (١٣٠٥ - ١٣٧٧ هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨ م) .

فى نهاية هذا الإستعراض ، لا نريد أن نكرم أخواننا العلمانيين من

بعض رموزهم .. خاصة وهم يضعون سلامة موسى في قائمة «أعلام التنوير» ! ونحن نقول لهم نعم أنتم محقون «فإليكم سلامة موسى» .. فهو الوحيد الذين تعدون امتدادا له .. حيث تتبعون من نفس المسبع الفكري ! .. ومشروع سلامة موسى يمكن أن نطلق عليه : مشروع «العمالة الحضارية» وأنا لا أنهمه بأنه كان عميلا سياسيا .. وإنما كان عميلا «حضاريا» ، يريد أن يلفي حضارتنا ، كي نصبح أوروبيين ...

وهو لم يبدأ من فراغ .. بل سبقه «المعلم يعقوب» ١٧٤٥م - ١٨٠١م الذي كون الفيئتي القبطي ، والذي تعاون مع نابليون ، والذي أطلق عليه الجبرتي إسم «يعقوب اللعين» ! .. وكان من شروط جلاء الحملة الفرنسية عن مصر أن يحلوا «يعقوب اللعين» مع فيلقه القبطي مع جنود الحملة؟! .. وحينما كان على السفينة كان مرض بالحمى ، ثم مات ، فقام الجنود الفرنسيون بوضعه في برميل نحصر وقذفوه في البحر .. وبعدها وجدنا وصيته التي أعطاها لربان السفينة ليعطيها للساسة الإنجليز مطالبا أن يقوم الإنجليز بإرسال قوة تحتل مصر ، كي تصبح مصر تابعة للغرب ، وتقطع صلتها نهائيا بتاريخها الإسلامي ومحيطها العربي والإسلامي .. ثم جاء لويس عوض وكتب عن مشروع «يعقوب اللعين» فقال إنه «أول مشروع لإستقلال مصر» !! وكذلك

أطلق نفس هذه العبارة شفيق غريال .. وهكذا وضع «يعقوب اللعين»
مع قادة وزعماء وأبطال مصر !!

والحقيقة أن أول من فكر في مضمون مصطلح «إستقلال»
مصر عن تاريخها وتراثها ومحيطها هو «المعلم يعقوب» ، ثم جاءت
مدرسة الموارنة الذين هربوا من الشام وجاءوا إلى مصر في ظل «كرومر»
والحكم البريطاني ، وأصدروا «المقطم» و «المفتطف» وأصبحوا يمثلون
أركان المندوب السامي والحماية البريطانية (يعقوب صروف - وشاهين
مكاربوس - فارس نمر) . ولأنهم أقلية مارونية مسيحية كان من
الصعب أن يقدموا المسيحية بديلا للإسلام في مشروع النهضة ، ولذلك
قدموا الغرب كبديل للحضارة الإسلامية والمشروع الإسلامي !

والتقط منهم الخيط سلامة موسى ثم لويس عوض ثم غالى
شكري ، وتلاميذ العلمانية الموجودون الآن على الساحة !

وكثمات سلامة موسى تمثل مشروع الذي كان يرمى من
ورائه إلى إلحاق الوطن بالغرب من الناحية الحضارية ، ولقد اعتبر
مصطفى كامل ووطنيته لونا من الارتداد عن الوطنية فنجده يقول :
« لقد حدث إرتداد في الفكرة الوطنية بظهور مصطفى كامل
(١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م) والخديوي عباس

والإخوان المسلمين ومصر الفتاة واللجنة العليا للحزب الوطني والضباط
الأحرار ، .. وقال أن التيار الوطني التقدمي هو الذي «إختار الإستعمار
الإنگليزى المتقدم على الدولة العثمانية المتخلفة» !!.

وبالمقابلة أنه إلى أن إستخدام كلمة «آسيا» كما وردت فى
لسان سلامة موسى - «آسيا» التى دعا إلى الخروج منها - هى أيضا
يستخدمها المستشرقون ، وهى تعنى «الإسلام» وأذكر هنا «هانتوتو»
(١٨٥٣ - ١٩٤٤ م) الذى تكلم عن تونس وقال أنها بدأت تنحاز
للتغريب وتطوع للفكر الفرنسى أى الحضارة المسيحية الآرية ويقول أيضا
« يوجد الآن بلد وأرض تنقلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضى
الآسيوى .. » (١) !

وحينما يأتى اليوم الدكتور/ جابر عصفور - الذى يقود حملة
التنوير - فيكتب فى جريدة «الحياة» ويقول : «لا ينبغي أن نشغل
بسؤال الهوية .. فلا أحد يشغل نفسه بسؤال الهوية القومية» (٢) أى أن
هؤلاء قد وصلوا إلى موقع زعيمهم ورائدهم سلامة موسى !

(١) «الإسلام والرد على متقيه» مجموعة من العلماء ص ٢٧ طعة القاهرة سنة

١٩٢٨ م

(٢) صحيفة (الحياة) اللبنانية - عدد ٥ / ١٩٩٣ م.

أما عن موقفهم من اللغة العربية ، فيجب أن نقارن بينهم وبين
 عتاة الاستعماريين مثل « ريل كوكس » الإنجليزي الذي دعا إلى الكتابة
 بالعامية ، وغيره من الذين دعوا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .. وأنشورك
 وما فعله في الحرف العربي ، والاستعمار الروسي وما فعله بالحرف العربي
 في آسيا الوسطى ، والفرنسيون وما صنعوه باللغة العربية في الجزائر
 وتونس والمغرب .. كلنا نعلم هذه القصة التي تخاك ضد اللغة العربية
 باعتبارها أحد مقومات الشخصية العربية ، ولغة القرآن .. وعن هذه اللغة
 كتب عنها سلامة موسى يقول : « إن المتعمق في اللغة الفصحى
 يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد ، فنظره متجه أبدا نحو الشرق ،
 وثقافته كلها عربية شرقية مع أننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى
 الاتجاه نحو الغرب ، والثقافة تفرز الذوق والنزعة ، وليس من مصلحة
 الأمة المصرية أن ينزع شباها نحو الشرق » (١) ؟ !.

ثم يقول أن اللغة تحمل عقيدة - وهذا ما جعل « إن الشرفى »
 وزير التعليم التونسي الحالي يتراجع عن مشروع التعريب ويقول :
 « إن الحرف العربي يؤدي إلى الاتجاه القبيح » - (الاتجاه إلى الإسلام) !!
 ونفس هذا الكلام رده سلامة موسى قائلا عن تراثنا « إنه تراث لغوي

(١) اليوم والغدا ص ٤

« يحمل عقيدة إجتماعية يجب أن نحاربها ! فالعربية ليست لغة الديمقراطية و الأتومبيل والتليفون ، بل لغة القرآن وتقاليد العرب » !!

وبهذه المناسبة سوف أقرأ عليكم نصا لأول مقبم عام فرنسي بالمغرب سنة ١٩١٢ ويدعى « ليوطي » قال فيه : « أن اللغة العربية تجر إلى الإسلام ، لأن هذه اللغة تُتعلَّم في القرآن ، هذا في حين أن مصلحتنا تختم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام » ومن الناحية اللغوية يجب أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية ^(١) ثم يأتي أيضا لويس عوض ويقول : « أن اللغة العربية لغة السادة ، وعلى العبيد - أصحاب العامة - أن يحطموا قيود السادة !! وأن اللغة العربية تشبه اللغة اللاتينية وكما قامت في الغرب اللغات الإنجليزية والفرنسية على أنقاض اللاتينية كذلك يجب أن تسود العامة على أنقاض الفصحى ؟ » ثم طالب بأن تكون اللغة العربية لغة الكهنه أى علماء الإسلام ، ونادى باللغة العامة ، كل هذا من أجل تقطيع أوصال العالم العربى والإسلامى وحتى لا نستطيع أن نقرأ القرآن .. مثلما فعل أنتتورك في تركيا ؟!

(١) د. محمد عبد الجبارى « تطور الوعي القومى في المغرب » ص ٢٤ - طبعة بيروت سنة

هذا هو فكر من يسمون برعماء التنوير ، وهذا هو الاقتراء الذي أرادوا به إلتفاز الرموز الإسلامية من الموقع الإحيائي والتجديدي للفكر الإسلامي ، ولذلك عندما يقال أن مشروع التنوير بدأ ، لكنه إنحدر وتحول إلى محنة تنوير - كما كتب جابر عصفور - نقول لهم : أن المحنة محتهم هم وليست محنة مشروع التنوير بالمعنى الذي نفهمه نحن لأن هذا المد الإسلامي واليقظة الإسلامية هي امتداد لهذا المشروع الإسلامي الإحيائي والتجديدي ، أما الضمور الذي أصاب ويصيب مشروع يعقوب اللعين ، ولويس عوض وسلامة موسى وتلاميذهم .. فهذه محنة مشروعهم ..

ونحن حقيقة لسنا أمام مشروع تنويري تراجع ، وإنما أمام مشروع تنويري إسلامي يستتير بنور الله والإسلام والرسول - ﷺ - أما مشروعهم ، لا سلطان على العقل إلا العقل ، فهو الذي يعالي في أوساطنا الآن هذه المحنة .. ونحن الآن أمام مشروعين .. أحدهما مرجعيته الإسلام ، والآخر مرجعيته الغرب .. والحقيقة أن هناك تحديا أمام المسلمين وعلمائهم ، وهو أنه إذا كان الإستعمار قد ترك الأقطار ورحل إلا أنه ترك المؤسسات في أيدي هؤلاء المتغربين وعلينا أن نوجد المؤسسات الإسلامية التي تمارس التنوير الإسلامي الذي هو نور الله حتى يتم وعده ويبلغ الكتاب أجله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعليقات الحضور

د. توفيق الشاوي: استاذ القانون بحقوق القاهرة

التنوير في أوروبا كان يقصد به كشف الظلام الذى كانت تحيا فيه (العصور المظلمة) فى ظل سلطة الكهنوت ، أما نحن فإننا لم نمر بهذه العصور ، بل كانت عصورنا الوسطى هى عصور الأمجاد الزاهرة ، ولذلك ليس هناك مبرر لما يدعيه العلمانيون عندنا من ضرورة تنويرنا .. وذلك لأنهم لا يقصدون إلا تحطيم الأصول الإسلامية .. ولذلك أرجو من د. عمارة والآخرين أن يبرزوا لنا - وبصورة متواصلة - الفرق بين نظرية التجديد الإسلامى ومقوماته وأصحابه ، وبين أدعياء التنوير ، لأنهم فى الحقيقة ليسوا تنويريين ، بل هم ظلاميون ، يريدون إلحاق شعبنا بالشعوب الأجنبية الاستعمارية .

ولا ننسى أن ننبه إلى بعض الإسلاميين ذوى العقول الجامدة ، الذين يدافعون عن التخلف ويصفونه بأنه إسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم ورحمة الله .

د . محظوظ عزام : استاذ الفلسفة

نشكر د . عمارة على كلمته الجامعة المانعة التي وضحت لنا مفهوم التنوير .. ومعروف أن مفهوم التنوير ظهر في القرن الثامن عشر في أوروبا على يد المدرسة الفرنسية وكان من أهم أعلامها فولتير ، وبنج ، وبدرو .. وهؤلاء الثلاثة فلاسفة ماديون يقولون بأزلية المادة وأبديتها .. إذن منطلقهم هو إحلال المادة محل الله ، ثم يحل العقل محل الله ، ومن الخطأ أن نستخدم مصطلح « التنوير » في مجتمعاتنا الإسلامية لأن فيه تلبساً على الناس ، ومن هنا فعلى المفكرين أن يقدموا لنا بعض الرسائل الخاصة بمفاهيم التنوير والعلمانية ، خاصة وأن الناس يفتنون بين العلم والعلمانية موقفاً حائراً .. بل ويخلطون بينهما ويعتبرون أن العلمانية مأخوذة من العلم .. مع أن العلمانية هي العالمية وكانت في الأصل تسمى « العالمية » ثم تحولت إلى العلمانية وهي تعني الفصل التام بين الحياة والدين ، سواء كانت هذه الحياة لأمة أو لشخص أو مجتمع .

أما فيما يتعلق بالشيخ على عبد الرازق يقال أنه نادى بتطبيق الشريعة في مجلس النواب .. أي أن تكون الشريعة هي المصدر للقوانين .. وفيما يتعلق بمحمد حسين هيكل فقد كان معجياً بالحضارة الغربية إلا أنه رجع في النهاية إلى الأصول الإسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم .. حقيقة أشفق على د . عمارة من
الهجمة الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام ضد الإسلام ، وأدعو
جميع المفكرين بأن يدلى كل منهم بدلوه في التصدي لهذه الهجمات
.. لأننا بالفعل - وفي هذا العصر - نعيش في محنة شديدة ، ويجب
على كل فكر أن يجتهد وأن نتضامن جميعا في توضيح الحقيقة ..
والحقيقة دائما في صف الإسلام .

أود التركيز على أن أعداء الإسلام في تقديمهم لشرعية الإسلام
يلجأون دائما إلى التاريخ الإسلامي ، ويتبعون منهجا إنتقائيا إختاريا ..
حيث ينتقون من النصوص ما يتفق مع أغراضهم .. وهذه العلمية
تتناقض مع المنهج العلمي لأنهم يفصلون النصوص عن سياقها لخدمة
أيدولوجية مسبقة يتبنونها .. وقد فعلوا هذا صراحا بدءا من آراء أبي
حامد الغزالي وموقفه من العلم ، وكيف أنه رفض العلوم الطبيعية ، رغم
أنه كان أمينا في عرض القضية ، ووضح الفرق بين فرض العين وفرض
الكفاية وطالب بتعليم الطب والرياضيات ، وكل ما في الأمر أنه قال أن
التمسك في بعض العلوم الطبيعية كالرياضيات قد يثير بعض الأسئلة -
عند المتعلم - التي يكون غير قادر على إستيعابها .. وهذا قد يؤدي إلى

نوع من الانحراف .. ورؤيته هذه كانت في إطار عصره الذي عجز
بالآراء والتعريفات الفلسفية المختلفة .

أريد أن أتبه إلى أننا لا نتشبه بجمال الدين الأفغانى أو بمحمد
عبد كاشغاصر .. بل ندرسهم وندرس تاريخهم من واقع منهج علمى ،
ونقول ما لهم وما عليهم ، وهدفنا فى النهاية هو الوصول إلى
الحقيقة .. ونقطة أخيرة أشير إليها أننا نجد من بين الكتاب الإسلاميين
من يروج للعلمانية ، بل ويضع لها تعريفات تخالف حقيقة التعريف
المتبع أصلا عند الغرب والذي يت بناء دعاة التنوير فى عصرنا ، وأضرب
مثالا بـ « وحيد الدين خان » حيث له مؤلفات كثيرة منها « الإسلام
يتحدى » .. ولكن للأسف فى آخر كتاب له فى طبعته العربية
« الإسلام الكامل » وجدته بنادى بضرورة إنباع العلمانية باعتبارها تعنى
عدم تدخل الدين فى شئون الدولة ، ويضيف أنه نظرا لسلطة الكنيسة
القوية اعتبرت أن هذا عدا للديانة المسيحية و لذلك إفتعلت الكنيسة
هذا العدا (!!) .. وأنا العلمانية تعنى الفصل بين الدين والدولة فصلا
يحول دون تدخل كل منهما فى الآخر ، ويرغم « وحيد الدين خان »
أن العلمانية فرصة ذهبية لأن يؤدى المسلمون دعوتهم بحرية !! وضرب
مثلا بصليح الحديثية الذى أتاح الفرصة لحرية الدعوة الإسلامية لعشر

سنوات ، فالعلمانية التي لا تتدخل في شؤون الأديان تتيح الفرصة للدعوة الإسلامية إلى الأبد !! هذه الآراء غريبة خاصة وأنها تستشهد بصحيفة المدينة .. يجب أن نفظن لما يث في الفكر الإسلامي حتى فيمن يسمون أنفسهم بالإسلاميين وهذا يعطى بعدا لشراسة الهجمة ، وكيف ينساق في إطار هذه الهجمة بعض الإسلاميين لست أدري عن قصد أو عن جهل .. وشكرا .

فضيلة الشيخ محمد الغزالي :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أشعر بأن هذه الفترة من تاريخنا من أشد الفترات مواتا في التاريخ الإسلامي الطويل ، لأن الهجوم على الإسلام ممتد من جميع الجبهات من شرق وغرب ، وأذكر أنني كنت اقرأ بالأمس في مجلة تقول أن الحكومة الهندوسية في الهند استطاعت أن تصجى ٧٤ ألف مسلم بالهند ، وأن تفرض عليهم الهندوسية ، وبدأت في مطاردة كلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله ، بل وحرفت الموتى المسلمين وبدأت تغير في تقاليد الزواج .. وأشباه أخرى كثيرة .. هذا يقع في الهند وفي أوروبا وفي البوسنة .. وهو يعني أن شعبة من شعب الهجوم على العالم الإسلامي والتي كانت عسكرية .. إنجحت إلينا الآن وتحولت إلى ثقافية .. وأن ما يسمى بحركة التنوير ما هي إلا

شعبة هجوم صليبي صهيوني وثى كى يضرب الإسلام فى صميمه ،
والإسلام الذى يضرب ليس هو دين محمد بالمعنى المحدد بل هو الدين
كله والوحى كله بل ورسالات السماء كلها ، فإن حدث وضاع
الإسلام فلن يبقى على الأرض دين ، ومتخفى الروحانية والغيبات
كلها من على سطح الأرض -

ولهذا أريد أن نشعر بخطورة الواجب الذى ربطه القدر فى أعناقنا
فى هذه الأيام ، أما أن الناس فيهم من يخدم الضلال إلى أن يموت
فهذه طبيعة نبهنا إليها الإسلام « أقمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
.. قل هل نتشككم بالآخرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم فى الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .. أن أبا جهل ظل إلى آخر
رمق يقول مناجيا الله « اللهم من كان أقطع منا للرحم فأده اليوم »
فقد كان يظن أنه أولى بالنحر من محمد ، لقد كان معبأ بالكفر من
رأسه إلى قدمه ومن قدمه إلى رأسه ، فإذا وجدنا أن هذه النماذج من
الكافرين موجودة ، فلنسأل أنفسنا .. هل أمكننا أن نضع نماذج
للإسلام نستطيع أن تقاوم هذا الزيف وتضرب هذا الضلال ؟ أن شعبا
لا زال يقول بصوت عال « الإسلام هو الحل » لكننا نريد أن نشيع هذه
الكلمة ، وأن يشيع من وراثها نأصيل علمي - كالذى قدمه لنا

الدكتور عمارة الآن - حتى يعلم الناس أن هؤلاء ليسوا طليعة تقدمية ، بل كتيبة رجعية حقيرة ، وأنهم يخدمون نزوات الإستعمار العالمى الكاره للإسلام الحاقق للشعوب الذى يريد أن يعود بالناس جميعاً القهقرى إلى أيام ما فتحت أمريكا الجنوبية والشمالية ، وأن يبدأ العالم كله بعيش فى ظلمة الصليبية العالمية ، فهؤلاء يخدمون للأسف أغراضاً من الخارج ، ولذلك نخدمهم قوى جليلة وخفية تكره الإسلام ونضيق به ، ونريد القضاء على الإسلام وإتباعه .

كل ما أبغيه الآن هو أن التجديد الذى لا بد منه للأمة الإسلامية ، حتى تكون أهلاً للبقاء ، هو تجلية حقائقها هى ، وتلميع هذه الحقائق ، حتى لا تنكشف أمورها أمام العيون المتطلعة إلى النور ، ولكن لدينا الآن نوعان من الناس ، نوع ينتمى إلى الإسلام وهو خطر عليه ، خاصة وأنه لا يدرك من الإسلام شيئاً ، وربما أحب ما فعل فى التاريخ الإسلامى كان من صنع الجبهة به والجاهدين له .. وهذا النوع موجود الآن ومهمته محاربة الأفغانى والطهطاوى ومحمد عبده ، وسعد زغلول بل وحسن البنا وكل من فيه نصارة فى فكره الدينى وقدره على توجيه الأمة لفعل الخير .. وتنبه إلى أن هؤلاء الأعداء خطرون على الناس .. أما النوع الثانى فهو الإستعمار الثقافى .. الذى زلزل التعليم

الدينى من ٤٠ سنة ، حين استطاع التأثير على حركة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ ، فجعلها تلقى - عن طريق طه حسين - التعليم الأولى والإلزامى وتعليم القرآن الكريم وجعل القرآن بعيداً عن مناهج الدراسة الأولية التى كنا نعيش بها .. وبذلك ماتت الكتابيب وما يشبهها ، وأصبح الطالب يخرج من المدرسة الإبتدائية ولا شىء عنده من القرآن . ثم جد الآن أن ثقافتنا فى حضارة لجنة أمريكية ، استطاعت أن تمحو من التاريخ ما تمحو ، ومن السن والآيات كذلك ، ووجدنا أنفسنا أمام ترزير ثقافى خطير يخدم هذا التنوير أو يخدمه هذا التنوير الذى تعيشه أمتنا الإسلامية .. الأمر يحتاج إلى أن ندرك أن الواجب علينا ثقيل ، ويستدعى يقظة ، وأن الأمر جد ، وأن الإسلام فى خطر ، وأن دعوة التوحيد تهددها أغام موقوتة وغير موقوتة كى تنسفها من جذورها ، والله المستعان على أن نقوم بحفظ ديننا وراثتنا .. والله ولى التوفيق .

٢ - محمد عبد الواحد طرايبية : قسم الصحافة بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم .. لقد وضع لنا الفرق الشاسع بين النور والظلام ، بين مستنقع التنوير وقافلة التنوير الإسلامية .. هذا المستنقع وجد المجال خصصاً فى أجهزة وسائل الإعلام الأمريكية ، التى تبنت هذه الأفكار الرجعية الإستعمارية أفسحت المجال كى تدخل

وتزيف الثقافة الإسلامية ، والسؤال الوارد الآن .. أين دور الأزهر بقيادته
وجامعته ومؤسساته في محاربة هذه الظاهرة المستنكرة ؟ .. ومن وجهة
نظري أن السبيل للقضاء عليها ، بجانب دور الصحافة الإسلامية ، هو
أن يقوم الأزهر بإصدار موسوعة للتثوير الإسلامي ، يكتب فيها مشايخنا
الأفاضل ، وأن تنشر عالميا ، وحيدا لو كان عن طريق المعهد العالمي
لفكر الإسلامى ، لتوضيح مفهوم التثوير فى الإسلام والفرق بينه وبين
الجهالة .

تتبع الفياشى : صحفي

بسم الله الرحمن الرحيم .. الفكر العلماني له خط موصول
منذ أن بدأت يثاره فى منطقتنا العربية على يد أصحاب « المقطم » و
المقتطف » وانتهى ، بجابر عصفور رئيس قسم اللغة بكلية الآداب بجامعة
القاهرة .. وطالما أن الفكر العلماني موصول الخطوات .. فهل هذا
التواصل ثم بفعل فاعل أم مصادفة ؟ أعتقد أن هناك برنامج ومخطط
عالمى قديم منذ أجدادهم فى الجزيرة العربية .. وكل جيل يأتى يضيف
ويعدل طبقا لتطورات عصره ، وهم مخلصون لخطتهم .. وأسأل أين
خطتنا وبرنامجنا ؟

من السلسلة التي تصدرها الهيئة العامة للكتاب كتب جديدة منها كتابات الإمام محمد عبده .. وأسائل أين كتابات الشيخ الغزالي ؟ أين كتابات د . محمد عمارة ؟ بل وأين نحن من تحديد المصطلحات ؟ .. نريد أن نتفق على مدلولات ومفاهيم معينة لبعض المصطلحات حتى نرى أين نضع أقدامنا .

محمد مأمون : مهندس استشاري

أوجه تحية لأستاذنا الدكتور عمارة .. وأحبه كذلك على تعبيره الذي استخدمه « الإنجاز التاريخي » لأن هذه قضية هامة جدا ، وفي تصوري أن أول من إنحاز للمقيم هو الإمام « أبو حامد الغزالي » في رحلته من « المتفقد من الضلال » حيث أنه إنحاز في النهاية إلى فكرة الإسلام الصحيحة الشاملة التي تشمل القلب والفعل والسلوك والفقه .. وعصرنا الحديث شهد مجموعة من الأعلام تمثل الصفوة التي تمتلك الضمير والرؤية واليقين .. وأصبح إنحيازها الإسلامي كفكرة شاملة وكحل نهائي لمشاكل الإنسانية كلها شاهدا للإسلام ، كما هو شاهد لهم ومنهم إستاذنا الدكتور محمد عمارة .. وأستاذنا المستشار طارق البشري .

مهم جدا أن نركز على أن العلمانية هي النتيجة الباقية للإستعمار.. وأن فصائل العلمانية أعطيت مساحات في الصحف ووسائل الإعلام ، وأصبح لها ضجيج .. وأتمنى على الله أن نتعامل مع العلمانية بهذا المفهوم ، وأطالب المعهد العالمي ببدء حملة لنشر مؤلفات د. عمارة والشيخ الغزالي في مقابل الحملة التي تقوم بها الهيئة العامة للكتاب .

د- محمد عبده صيام :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزى عالمنا المجاهد د. محمد عمارة خير الجزاء .. وفي هذه المناسبة أتبه إلى أن هناك بعض الإسلاميين الذين يشوهون الحركة الإسلامية أو يهينون التراب على بعض رؤوس علمائنا .. وأذكر هنا شيخنا الغزالي الذي يهال على رأسه التراب بعد ظهور كتابه « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » فصدر ما يقرب من ١٥ كتابا منهم كتاب ألفه استاذ مساعد بكلية أصول الدين وقدم لهذا الكتاب رئيس القسم وعنوان الكتاب « جتابة الشيخ الغزالي على السنة النبوية » ، وأتمنى من الدكتور محمد عمارة أن يزيل التراب من على رأس هذا الشيخ الجليل مثلما فعل مع الطهطاوى والأفغانى وغيرهما

د . علي جمعة :

هكذا إنتهت التعقيبات وتعطى الكلمة لأستاذنا الدكتور محمد

عمارة -

د . محمد عمارة :

شكرا للسادة الأفاضل المعلقين .. وأبدأ بردى على سؤال ورد
من أحد الحضور بتسائل لماذا لم أعط أمثلة من الإجتهااد فى عصرنا
الحديث ؟ .. مثلما فعلت حينما أوردت أمثلة عن الإجتهااد فى عهد
عمر بن الخطاب فى كتابى « معالم المنهج الإسلامى » ١٢ .. والحقيقة
أننى قد أجبت عن هذا السؤال فى الكتاب حيث قلت أننى أريد أن
أقدم نماذج من الإجتهااد فى العصور الأولى ، وهى فترة إتسعت فيها
دولة الإسلام - فى عهد عمر - ولم تعد الدولة قاصرة فقط على شبه
الجزيرة العربية .. ولأن الإجتهااد فى هذه الفترة لم يكن موضوع جدل
من تيارات الفكر الإسلامى .

أما عن موضوع د . نصر حامد أبو زيد - كما جاء فى بقية
السؤال - أقول أن هذا الأستاذ وآخرين يحقرون تحت أساسيات الإسلام
ونقد رددت فى كتابى « الإسلام والسياسة » على العلمانيين بشكل

عام ، خاصة فرج فودة ، وفؤاد زكريا .. ومع ذلك فأنا ألتقي مع
 صاحب السؤال بأن هناك مشاريع تلبس لباسا علمانيا .. يقوم بها أسانذة
 يجب ألا نستهيى بها كتبوه .. والحقيقة ، لا أكتفكم ، أثنى قرأت
 كل ما كتب ضد نصر حامد أبو زيد في الفترة الأخيرة ، ولم يعجبني ،
 لأنه لم يصل إلى حقيقة المشروع الذى يقدمه ، وهو موضوع « تاريخية
 النصوص » و « التأويل غير المضبوط بقواعد العربية » ، وقد أشرت - فى
 أحد الصحف - إلى أن المنهج الذى بدأه « أركون » ونصر أبو زيد
 وغيره تلامذة فى مدرسته .. وهؤلاء يضعهم فى صفوف القاديانية
 والبهائية والبابية بالإضافة إلى محمد محمود طه .. وذلك لأنهم يشرون
 بشرائع جديدة .. لأنه إذا كان الإسلام تاريخيا .. ونصوصه مرتبطة
 بأسباب النزول ، وإذا كانت الآية القرآنية التى نقول للنبي أن يحكم بين
 الناس بما أراه الله .. خاصة بالرسول .. وأن أغلب آيات القرآن موجهة
 للرسول أو لأسباب نزول معينة مرتبطة بحوادث تاريخية .. نقول لهؤلاء
 أنكم تريدون نسخ الإسلام .. علينا بالفعل أن نقدم مشاريع فكرية لأن
 هذه مسئوليتنا جميعا .. وأدعو الله تعالى أن يوفقنا و التحقيقة أثنى
 كنت صاحب إقتراح أطلقت عليه « المرصد الفكرى » كى ترصد
 تيارات الفكر المتأتمية والمعادية .

أحد الأخوة وصلنى سؤال منه حول وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لقضية البوسنة والهرسك .. أقول أن هذه القضية تحدثنا عنها فى ندوات كثيرة وهى ليست موضوع ندواتنا الحالية .

لدى سؤال مهم حول ضرورة تحرير المصطلحات .. والحقيقة أننى فى بداية الندوة أشرت إلى هذا ، ويبدو أن صاحب السؤال لم يحضر من بداية الندوة : و قلت أن القضية هى قضية تحرير مضمون المصطلحات . وحقيقة أنا مهتم جداً بهذه القضية سواء فيما كتبت عن العلمانية ، أو فى مقدمة لقاموس المصطلحات الاقتصادية - وقد طبع مؤخراً - كتبت فى المقدمة عن الرسالة الحضارية للمصطلحات ، وكيف أن المصطلحات أوعية تستخدم فى حضارات مختلفة ولكن بمضامين مختلفة .. وهذا نراه فى موضوعات كثيرة «كالدين» «والسياسة» «واليسار» «والتوحيد» «والإقطاع» .. فكل هذه مصطلحات تستخدم لكن لها مضامين مختلفة فى الحضارات المختلفة .

بالنسبة للدكتور أحمد فؤاد باشا الذى تكلم عن التاريخ ، وكيف أن هناك منهج خاطئ عند المتغربين فى نظرتهم إلى التاريخ .. ولقد تناولنا هذا فى مناظرتنا مع العلمانيين ، وكيف أنهم يستقون تاريخنا من كتاب « ألف ليلة وليلة » .. كما أنهم يستقون فكرة

إنحراف « الدولة » ... ونحن نقول لهم أن « الأمة » هي التي صنعت الحضارة .. وأن « الأمة » ليست هي « الدولة » وفي آخر ندوة شاركت فيها كانت حول « دور الأوقاف في صناعة الحضارة الإسلامية » ركزت فيها على هذه القضية .. قضية كيف صنعت « الأمة » أعظم الحضارات في ظل إنحراف « الدولة » وذلك لأن الدولة كان حجمها محدودا ، وطاق نفوذها محدودا .. وبالتالي لم تكن هي الدولة التي نحيا في ظلها الآن .. والتي تقتحم على الناس مضاجعهم ، ونسك كل الأشياء بيديها .. أقول أنه من الخطأ أن ينظروا إلى تاريخنا بحتظار غربي .. أي أنهم ينظرون للمخلاق على أنها كهنة .. وللإسلام على أنه كهنة .

وحول موضوع الموقف من الإمام أبي حامد الغزالي .. أقول أن الغزالي فهم بصورة خاطئة في موضوع السببية .. وقد كتبت هذا في كتابي « معالم المنهج الإسلامي » ، وأنه لم يكن هناك خلاف حقيقي بينه وبين ابن رشد في قضية علاقة الأسباب بالمسببات ، وهذه المسألة تخفى على الكثيرين ممن يرون في الغزالي أنه هزم الفلسفة والعقل والعقلانية .. وحول موقفه من بعض العلوم من أنها تحتاج إلى متخصصين فهذا أيضا هو موقف كل عالم يشعر بالمسؤولية .. وإلى الآن

نقول أن الناس لو قرأت « ابن عربي » تفضل وتكفر .. ولكن بعض الذين يفهمون مصطلحاته من الممكن أن يأخذوا منه ويختلفوا أو يتفقوا معه .. ولا تنسى أننا حتى في ظل عصر العلم الذي نحيا فيه ، نجد أن كتب السحر تحرم قراءتها في بعض المكتبات إلا لمن يقوم بإعداد دراسة علمية .. وهكذا ليس عيباً أن يطالب بعض العلماء بأن تقتصر بعض العلوم على المتخصصين فيها فقط .

وأما عن « وحيد الدين خان » فأنا أرى أن بعض الناس يخلطون في موضوع العلمانية .. فالعلمانية قد تكون مفهومة ومبررة في المجتمعات المسيحية ، لأنهم يقولون « دع ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله » ولكنها لا يمكن أن تكون مبررة في المجتمع الإسلامي حيث الإسلام فيه دين ودولة .. وهذا لا يمتنع أن بعض إخواننا من الإسلاميين يقولون أن العلمانية في الغرب تفتح الباب أمام الدعوة الإسلامية ، ولكن هذا لم يكن ليحدث لو كانت الكنيسة هي الحاكمة .. نقول لهؤلاء أن هذه القضية مختلفة تماماً مع قضية أن العلمانية كحل غربي لمشكلة غربية ، ويراد إستيرادها لبيئة إسلامية لا علاقة لها بهذه المشكلة ولا بهذا الحل الغربي .. وإذا كان « وحيد الدين خان » قد إستشهد بالصحيفة - التي هي دستور دولة المدينة - على العلمانية

.. فهذا الكلام نعتبره غريبا .. لأن الآية القرآنية تقول ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أى أنها تجعل المرجعية الكتاب والسنة شرطا للإيمان بالله وباليوم الآخر .. هذه الآية كانت مادة للصحيفة - دستور دولة أهل المدينة - التى جاء فيها : وما كان بين أهل هذه الصحيفة من إشجار يخاف فساده فمرده إلى الله وإلى محمد . . إذن لا يمكن أن يقال أن الصحيفة شاهد على العلمانية التى تخرج مرجعية للكتاب والسنة من العمران .

وأني مرة أخرى إلى أنه ليست كل أسباب إنهيار أمتنا هي أسباب وعوامل خارجية .. فالعوامل الداخلية أيضا تلعب دورا .. وأذكر أن مشول الترجمة في المركز الفرنسي في القاهرة أبلغتني بأن مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في المغرب ترجمت كتاب « على عبد الرزاق إلى اللغة الفرنسية !! فإذا كانت هذه مؤسسة داخلية قامت بهذا .. إلا أنني أتساءل : من الذى يصنع هذه المخططات ويشرف على هذه الترجمات ؟ وحتى فؤاد زكريا الذى يحمل إسمنا ويعيش في مجتمعنا ، ولكن من الذى إنتفى له بعض مقالاته وترجمها إلى الفرنسية ليعطيه جائزة فرنسية ؟ الأمر صادر من السفير الفرنسي بالقاهرة ، وهذه حقيقة أنا أعلمها من أناس ليس لهم علاقة بالإسلام أو بالإسلاميين .. إذن

كثير مما نسميه بالعوامل الداخلية ، هي عوامل إما يصنعها الخارج وإما يحرسها .. وكله مخطط واحد .

وجاءتني ورقة الآن حول إقامة حدود الله .. أقول أن ديننا دين عدل وليس دين عقوبات فقط .. وهناك ضرورات وأولويات في الشريعة .. فلنقم عدل الله والإسلام ، ومن يخرج على هذا العدل نقيم عليه حدود الإسلام .. نحن لا نعتذر ولا نتنازل ، وإنما نضع الأولويات الطبيعية التي كانت بالفعل منهاج رسول الله ﷺ .. حين صاغ الإنسان إسلاميا ، ثم صاغ المجتمع إسلاميا .. ثم أقام العقوبات والحدود وإلى الأخ الذي قال أن العلمانيين ليسوا فريقا واحدا .. أقول أن هذا صحيح .. فهناك علمانيون خلافنا معهم في الأصول .. وهؤلاء هم غلاة العلمانيين الذين يجرحون العقائد .. وأذكر أن أحد القوميين حكى لي عن جلسة جمعتهم مع فرج فودة - العلماني - في أحد المنازل ، وكيف أن فرج فودة جلس لمدة ساعة ونصف يحدثهم عن أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - كانت امرأة شاذة فهؤلاء الناس - وتلك هي بضاعتهم - لا نسميهم مجرد علمانيين ، بل غلاة العلمانيين .. لأنهم يجرحون الدين والمعتقد وليس خلافهم مع جماعة إسلامية . ولكن هناك أناسا مطلوب أن نحاورهم لوجود مساحة إتفاق بيننا وبينهم ،

ومطلوب أن نكسبهم لفهم كامل الإسلام كمنهاج شامل للواقع الذي نعيش فيه .

وأخيرا .. عن إستخدامى لبعض الكلمات العامة أثناء حديثى ..
فأنا أدعوكم لقراءة كتاب « رفع الأصغر عن لغة أهل مصر » و الذى رد فيه مؤلفه العامة المصرية إلى « القاموس المحيط » .. وأعتقد أننى لم أقل كلمة عامة تخرج عن هذا الإطار .

وبخصوص المطالبين بالدفاع عن الشيخ الغزالي ، أقول أنه طبيعى جدا أن يهاجم كل من يتعرض للعمل العام ، فكما يسمع المديح .. يسمع النقد وأنا أحيانا أطمئن لموقفى الفكرى عندما ينتقده بعض الناس .. وحقيقة نحن نحارب فى جبهتين .. جبهة التغريب والإستلاب الحضارى والهيمنة الغربية ، وجبهة الجمود .. لذلك نستخدم مصطلح « التخلف الموروث » .. « والوافد الضار » .. فإذا جاءنا النقد من هذين الفريقين فتحن على الوسطية الإسلامية وعلى المنهاج الوسطى السليم .. فدعونا من انتقادات هؤلاء لأنها تطمئننا أكثر مما تقلقنا ؟! .. بل المدعى أن الإنتقادات والهجوم والتجريح الذى وجه إلى القرآن وإلى الذات الإلهية وإلى رسول الله أثبت فى القرآن آيات نتعبد بها الآن .. ومنهج القرآن يقول « هاتوا برهانكم » ولذلك نحن لا نصادر الفكر

الذى يروجه العلمانيون ، لأننا غير عاجزين عن الرد ، ومع ذلك لا نعبأ
بانتقاداتهم ، بل تنبهنا إلى قضايا وأمور مفروضة أن نخطط للرد عليها ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

